حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة

للإمام المحدث

محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني

تحقيق وتخريج

سعد بن عبد الله بن سعد السعدان

قدم له

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

حديث افتراق الأمة

إلى

نيف وسبعين فرقة

النشرة الأولى ١٤١٥هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

حديث افتراق الأمة
إلى
نيف وسبعين فرقة

للإمام المحدث

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني

تحقيق وتخريج

سعد بن عبد الله بن سعد السعدان

قدم له

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ :

د. عبدالرحمن بن صالح المحمود

الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

* * الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعـد :

فلا يخفىٰ على كل ذي لب ما يعيشه المسلمون هذه الأيام من تفرُّق واختلاف، وتباين في المذاهب والأصول العقدية. وقد أدَّىٰ هذا إلى أنواع من التقاطع والتدابر بين المسلمين، كما أن تنازعهم أدَّىٰ بهم إلى الفشل وذهاب البركة وتسلط أعدائهم عليهم وقد حذَّرَ الله من ذلك وبيَّن عاقبته، فقال : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .

وكل من يطلع على أحوال الأمة الإسلامية يتساءل : ما المخرج من هذا التفرُّق؟ وما الجامع الذي ينبغي أن تجتمع عليه الأمة؟

ولقد تباينت الاجتهادات في ذلك :

☐ **فطائفة** : ظنَّت أن جمع الأمة هو الأصل، وهو الهدف الأكبر الذي يجب أن يقدم على غيره من الأهداف. ومن ثَمَّ رأىٰ هؤلاء أنه يجب التغاضي عن المسائل والقضايا التي تؤدي إلى التفرق ولو كانت هذه القضايا أصولاً عقدية، تتعلق بالتوحيد وما يضاده من الشرك.

وقد أدَّىٰ حرص هؤلاء على تحقيق ذلك الهدف إلى أن يطالبوا بجمع الكلمة ـ حتى بين الرافضة والسنة، والصوفية، بل وأصحاب الاتجاهات القومية والعلمانية وغيرها ـ وأن هؤلاء جميعًا ما داموا يرفعون لافتة «الإسلام» فينبغي أن تتحد كلمتهم لمواجهة الإلحاد والغرب النصراني واليهود وغيرهم.

☐ **وطائفة أخرى** : ظنت أنها هي الناجية فقط، وأن حزبها أو طائفتها أو من ينتمي إليها هم الناجون، ومن عداهم هالك خارج عن دائرة الإسلام، أو ضال مضل منحرف عن المنهاج الصحيح الذي يتبنّونه وينتسبون إليه.

ولم تخل الأمة ـ والحمد لله ـ من طائفة ـ ليست بالقليلة : لم توافق الطائفتين على منهجهما؛ بل أرجعت الأمور إلى نصابها الصحيح، ووزنت أمورها بميزان الكتاب والسنة ومنهاج السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ لأنَّ النبي ﷺ: ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولسنا بصدد شرح ذلك، فقد أُلِّفَت والحمد لله ـ قديمًا وحديثًا ـ أعداد كبيرة من الرسائل والكتب التي توضح هذا المنهاج وتوصله، ومنها كتب أئمة السلف قديمًا، وكتب أئمة السلف في العصور الأخيرة: كابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب، وأئمة الدعوة ـ رحم الله الجميع ـ.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها تتأثَّر بتلك الطروحات السابقة، والاجتهادات المتباينة، مع نشاط ملموس وقوي

للأئمة وطوائف البدع على مختلف أشكالها من البدع العمليـة والقولية ـ فإن من واجب السائرين على منهاج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة أن يتذكَّروا ثقل الواجب الملقىٰ عليهم، وأن يبذلوا كل ما يستطيعون ـ بشتى الوسائل والأساليب المشروعة، من نشر كتب السلف، وإعادة تحقيقها وطبع ما لم يطبع منها، وتأصيل مناهج العقيدة في جميع مراحل التعليم، وتعليم هذه العقيدة لعموم الأمة وتربية النفوس عليها، والردّ على جميع أهل البدع والانحراف وفضحهم وبيان ضلالهم.

ولا شكّ أن العقيدة الصافية الخالصة من شوائب الشرك والبدع هي التي تجمع ولا تفرق، وهي التي تؤلف بين القلوب المؤمنة.

أما البدع والانحرافات فهي من أعظم أسباب التفرُّق. ولذلك فإذا أردنا العودة والاجتماع والاتفاق فلابدّ أولاً أن تكون العقيدة الصافية هي الأصل، ومن انحرف عنها فهو المباين لطريق الحقّ والسنة.

* * *

ومن الدراسات التي تفيد في هذا المجال التأصيلي ما قام به الأخ الشيخ/ سعد بن عبدالله السعدان ـ أثابه الله ـ حيث اشتمل عمله على أمرين:

☐ **أحدهما**: مقدمة مستفيضة عن الاختلاف وأنواعه، والمحمود منه والمذموم، والفرق بينه وبين الافتراق، وأسباب ظهور الفرق وحكمها، وهي مقدمة طويلة جيدة تصلح أن تكون رسالة مستقلة.

☐ **الثاني**: تحقيق رسالة: «حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين

فرقة» للشيخ محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني، صاحب سبيل السلام وغيره. وقد بذل الشيخ جهده في تحقيق الرسالة ومقارنة النسخ، كما أفاض في تخريج الأحاديث وجمع طرقها وشواهدها والكلام في رجالها ثم الحكم عليها.

والرسالة بقسميها ـ المقدمة المطولة ـ والتحقيق قد أتحفنا فيها الشيخ سعد بعدد من الفوائد المتناثرة، على رأسها الكلام حول حديث الافتراق ودلالته والمنهج الصحيح في فهمه، والردّ على من انحرف أو أخطأ في فهم ما دلَّ عليه.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يثيبه على ما بذل من جهد في هذه الرسالة، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في الأقوال والأعمال وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

عبدالرحمن الصالح المحمود

كلية أصول الدين بالرياض

٢١/ ١١/ ١٤١٤هـ

□ □ □

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الهادي للّتي هي أقوم، وأشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وحده لاشريك له، جلَّ عن الشّبيه والنِّدِّ والمثيل، ليس كمثلِه شيء وهو السّميع البصير.

وأشهد أنّ محمدًا عبدالله ورسوله، أرسله الله بين يَدَي السّاعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنهِ وسراجًا منيرًا، فهدَىٰ به من الضّلالة، وبصَّر به من العمَىٰ وأرشد به من الغيّ وفتّح به أعينًا عُميًا وآذانًا صُمًّا وقلُوبًا غُلفًا.

صلى الله عليه، وعلى آله وأزواجه الطّاهرات أُمّهات المؤمنين، وعلى صحابته، ومن اقتفىٰ أثرهم إلى يوم الدّين.

❑ **أما بعد:**

فإنّ دينَ الإسلام، هو الدِّين الذي قد رضيه الله لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾(١).

وإنَّ النّاظر لقواعد هذا الدِّين، يرىٰ أنَّ من أُصُولِه ومبانيه العظام، الأمرَ بالائتلاف والاتحاد والتّعاون والتّماسُك بين أفراده ونبذ الخلاف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وأسباب الشّقاق والتّناحر والتّطاحن، وذمّ التعادي والتّفرُّق، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنتُم مُّسلِمُون* واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً ولاَ تَفرَّقُوا واذكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ كُنْتُم أَعداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إخوانًا وكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفْرةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ﴾(١).

فقد خاطب الله جَّل وعلا عبادَه المؤمنين بلُزوم تقواه، وبالاعتصام والتّمسُّك بدينهِ، والحذر من التفرُّق عن الحقّ، وذلك بوقوع الخلاف بينهم والشّقاق كما كان الأمر في الجاهلية، وذكَّرَهم سبحانه وتعالى بما أنعمَ به عليهم مِنَ المحبة والألفة والاجتماع والأخوة في الله بعد العداوة المقيتة.

قال القرطبي: «فأوجب تعالى علينا التّمسُّك بكتابه وسنة نبيّه، والرّجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع علىٰ الاعتصام بالكتاب والسّنة اعتقادً وعملاً، وذلك سَببُ اتفاق الكلمة وانتظام الشّتات، الذي يتم به مصالح الدُّنيا والدِّين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهىٰ عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين»(٢).

ونستطيع القول بأنَّ القاعدةَ الأساس في الائتلاف والاجتماع، تكمُنُ في التّمسُّكِ والاعتصام بالكتاب والسُّنة، كما درج علىٰ ذلك سلف هذه الأمـة.

---

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٤٠٦/٢.

ورحمَ اللهُ الإمام العَلَمَ الحافظ ابن قيِّم الجوزية عندما بيَّن حقيقة الاعتصام بالكتاب العزيز. فقال: «وهو تحكيمه دون آراء الرّجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتِهم، ومواجيدِهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنسلٌّ من هذا الاعتصام.

فالدّين كُلّه في الاعتصام به وبحبله علماً، وعملاً، وإخلاصًا، واستعانةً، ومتابعةً، واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «الاعتصام: افتعالٌ من العصمة، والمراد: امتثال قوله تعالى: ﴿**واعْتَصِموا بَحبْلِ اللهِ جَميعًا**﴾. الآية»(٢).

والمراد بقوله تعالى: ﴿**بحبلِ الله**﴾: «... المراد بالحبل: الكتاب والسنّة علىٰ سبيل الاستعارة، والجامع كونهما سببًا للمقصود، وهو الثّواب والنّجاة من العذاب، كما أنّ الحبل سببٌ لحصول المقصود به من السّقي وغيره، والمراد «بالكتاب»: القرآن المتعبّد بتلاوته، «وبالسنّة» ما جاء عن النبي ﷺ، من أقواله، وأفعاله، وتقريره، وما همّ بفعله»(٣).

أما معنىٰ ﴿**ولا تفرّقوا**﴾، قال القرطبي: «كما افترقت اليهود والنّصارىٰ في أديانهم، عن ابن مسعود وغيره، ويجوز أن يكون معناه: ﴿**ولا تفرّقوا**﴾ متابعين للهوىٰ والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخواناً، فيكون ذلك منعاً لهم عن التّقاطع والتّدابر...»(٤).

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٢٣.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تفسير القرطبي ٢/ ١٤٠١.

لقد اهتم الإسلام بالتآلف ونبذ التنازع والتنبّه من خطر الاختلاف المذموم، الذي يؤدي إلى تمزيق وتفريق الأمة المسلمة.

اهتمَّ بذلك الأمر لتعيش أمة محمد، ﷺ، في خير ووئام، تحت ظلّ راية التوحيد، ولتحقق العبودية الحقة لله سبحانه وتعالىٰ.

وإنه إذا حلَّ الإختلاف المذموم في الأمّة، تفككت روابطها، وتفرّق جمعها، وتقطعت صلاتها، وتبعثرت قوّتها، وحلّت فيها الفوضىٰ، وأصبحت لقمةً سائغة للأعداء.

إنَّ الاختلاف بابٌ واسع وعريض، وإنَّ الاختلاف في مسائل فقهية مذهبية ليس ممّا يُذم، فهذا يخضع للاجتهاد والفهم وقوة الأدلة، وله بحث مستقل، فليس هو ممّا نقصده فَلْيُتَأمّل ذلك.

إنَّما الأمرُ المذموم هو الاختلاف في أصول الدين، وهو ما سنتناوله بعون الله ـ تعالى ـ.

❑ تنبيـــه:

لابُدَّ لنا في البداية أن نُحدِّد ونُميِّز بين مدلولِ الاختلاف، ومدلول الافتراق، لأنَّ بينهما تشابهاً، وبينهما عموم وخصوص. فما هو الاختلاف يا تُرىٰ؟ وما هو الافتراق؟

❑ معنى الاختلاف:

إنَّ معنى الاختلاف هو: «أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا غير طريق الآخر،

في حـاله أو قولـه، والخلافُ أعمُّ من الضّـدِّ، لأنَّ كلَّ ضدّيـن مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضّدين، ولمّـا كان الاختلافُ بينَ النّاس في القـولِ قد يقتضِي التَّنازُع استُعِيرَ ذلكَ للمُنازعةِ والمجادلَة. . . »[١].

إذن يمكن أنْ نقول إنّ الخـلاف يدلّ على تبـاين في الآراء والمواقف حولَ أمرٍ من الأمـور، واختلاف في وجهات النَّظر، وهـو أعمُّ من التَّفرق، فليس كل خلاف يعتبر تفرّقاً.

ووقـوع الاختلاف بين البشـر أمـرٌ قدري، فقـد وقع من وقت هـابيل وقابيل، ووقع في كل عصر من العصور. وسنبيِّن أنَّ الاختلاف من سُنن الله الله تعالى، لكنْ قبلَ ذلكَ نذكرُ أنواعَ الاختلاف.

❑ أنواع الاختلاف:

إنَّ هناك نوعين من الاختلاف:

الأوّل: الاختلاف المحمود.

وهو الاختـلاف الحاصل نتيجة الاجتهـاد، وتفاوت الأفهـام، وتباين الآراء، في قضايا متفاوتة.

الثاني: الاختلاف المذموم.

وهو الاختلاف في أصول الدين، وهذا شرٌّ وداءٌ إذا حلَّ بالأمة.

وكذلك يـدخل في الاختلاف المـذموم، الاختلاف النـاتج عن اتّباع

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للرّاغب ٢٩٤.

الهوىٰ والتّعصُّب الممقوت لشخص أو جماعة. والتقليد الأعمىٰ، الذي يؤدِّي إلى إشعال الفتن.

□ الاختلاف سنة من سُنن الله تعالىٰ:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ. . .﴾(١).

قال الإمام الشّاطبي: «فأخبر سبحانه أنَّهُم لا يزالون مختلفين، أبدًا مع أنَّه لو أراد أن يجعلهم متّفقين، لكان على ذلك قديراً»(٢).

وقال الإمام ابن سِعْدِي: «يخبر ـ تعالى ـ أنه لو شاء لجعل الناس أمةً علىٰ الدِّين الإسلامي، فإنَّ مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنّه اقتضت حكمته، أنْ لا يزالوا مختلفين، مُخالفين للصِّراط المستقيم، متَّبعين للسُّبُلِ الموصلةِ إلى النّار، كلٌّ يَرَىٰ الحقَّ فيما قاله، والضّلال في قول غيره»(٣).

أمّا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فقد بيَّن الشّاطبي المعنىٰ بقوله: «وللاختلاف خلقهم، وهو مرويٌّ عن مالك بن أنس، قال: خلقهم ليكونُوا فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير، ونحوه عن الحسن، فالضّمير في: ﴿خلقهم﴾ عائد على الناس. فلا يمكن أن يقع منهم إلاَّ ما

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) الاعتصام ٢/ ٦٧٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنّان ٢/ ٣٩٦.

سبق في العلم»(١).

فالله جل وعلا: «خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرّحمة للرّحمة»(٢).

وممّا يدلّ على أنَّ الاختلاف في الأمة سنة من سُنن الله عز وجل ما أخرجه الإمام مسلم، من حديث سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، أنَّ رسول الله، ﷺ، أقبل ذات يومٍ من العالية، حتّى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلَّينا معه، ودعا ربَّه طويلاً، ثمَّ انصرفَ إلينا، فقال، ﷺ: «**سألتُ ربِّي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدةً، سألتُ ربِّي أن لا يُهلِكَ أُمّتي بالسَّنة فأعطانِيها، وسأَلْتُه أنْ لا يُهلِكَ أُمَّتِي بالغَرقِ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعَنِيها**»(٣).

قال شيخ الإسلام: بعد أن أورد حديث الافتراق، وحديث سعد بن أبي وقاص هذا، وحديث ثوبان مرفوعًا: «**إن الله زوىٰ لي الأرضَ**»(٤).

قال: «وهذا المعنىٰ محفوظ عن النبي، ﷺ، من غير وجه، ليشير إلى التّفرقة والاختلاف، لابدّ من وقوعهما في الأُمة، وكان يحذّر أمّته لينجو

---

(١) الاعتصام ٢/ ٦٧٠.

(٢) تفسير القرطبي ٥/ ٣٣٤٣.

(٣) مسلم، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٩٠.

(٤) سيأتي تخريجه ص٦٢.

من شاءَ الله لهُ السّلامة»[1].

ومع أنَّ الاختلاف ممّا قدّره الله ـ تعالى ـ لكنه سبحانه لا يُحب ّولا يرضىٰ لعباده ذلك.

فإن قيل: كيف يُريد أمراً ولا يُحِبُّه؟

أُجيب بما قال شارح الطحاوية ابن أبي العز: «قلنا: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً، وتباينت طرُقهم وأقوالُهم.

فاعلم أنَّ المراد نوعان: مرادٌ لنفسه، ومرادٌ لغيره، فالمراد لنفسه: مطلوبٌ محبوب لذاته، وما فيه من الخير، فهو مرادٌ إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره: قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحةٌ له بالنظر إلىٰ ذاته، وإن كان وسيلةً إلى مقصوده ومراده.

فهو مكروه له من حيثُ نفسه وذاته، مرادٌ له من حيث إفضاؤه وإيصالُه إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران، بغضُه وإرادتُه، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلّقهما، وهذا كالدّواء الكريه، إذا عَلِمَ المتناولُ له أنَّ فيه شفاءَهُ، وقطع العضو المتآكل، إذا علِمَ أنّ في قطعه بقاءَ جسدهِ، وكقطع المسافة الشّاقّة، إذا عَلِمَ أنّها تُوْصِلُ إلىٰ مراده ومحبوبه، بل العاقِلُ يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظنّ الغالب وإن خفيت عنه عاقبتُه، فكيف بمن لا يخفىٰ عليه خافيةٌ.

---

(١) اقتضاء الصّراط المستقيم ١/ ١٢٢، ١٢٣.

فهو ـ سبحانه ـ يكرهُ الشّيء، ولا يُنافي ذلك إرادته لأجل غيرِهِ، وكونه سببًا إلى أمرٍ هو أحبُّ إليه من فوتِهِ.

ومن ذلك: أنه خلق إبليسَ، الّذي هو مادّةٌ لفسادِ الأديان والأعمالِ والاعتقاداتِ والإرادات، وهو سَببٌ لشقاوةِ كثيرٍ من العباد، وعملهم بما يُغْضِبُ الربَّ تبارك وتعالى، وهو السّاعي في وقوع خلاف ما يُحِبُّه الله ويرضاه.

ومع هذا فهو وسيلةٌ إلىٰ مَحابَّ كثيرةٍ للرّبِّ ـ تعالىٰ ـ ترتَّبت علىٰ خلقهِ، ووجودُها أحبُّ إليه مِنْ عَدَمِها»(١).

والله ـ سبحانه ـ وتعالىٰ عدْل لا يظلم: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٢).

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنّما يضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعث رَسُولاً﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كنّا مُعذِّبِينَ حتَّى نبعثَ رَسُولاً﴾: «إخبارٌ عن عدله ـ تعالى ـ، وأنه لا يُعّذِّبُ أحداً إلاَّ بعد قيام الحجة عليه، بإرسال الرسول إليه، كقوله: ﴿كُلّمَا أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خزنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُم نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فكذّبنا وقُلْنَا ما نَزَّلَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

اللهُ من شَيءٍ إنْ أنتُم إلاَّ في ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾[(١)]»[(٢)].

□ تحذير النبي، ﷺ، أمّته من الاختلاف وأسبابه:

لقد كان الرّحمةُ المهداه، عليـه الصّلاة والسّلام يحذّر أمته من اتّباع أسباب الاختلاف، لأنها التي تؤدي لـوقـوع العداوة والتنـاحر والشحنـاء والبغضاء بين أفراد الأمة المسلمة، ممَّا يكون سببًا في إضعافها وهلاكها.

فعن أبي هـريرة ــ رضي الله عنـه ــ، عن النبيّ، ﷺ، قـال: «**دعُوني ماتَـركْتُكُم فإنَّما أهلكَ من كانَ قبلَكُم سؤالُهم واختـلافُهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نَهيتُكُـم عن شيءٍ فـاجتنبـوه، وإذا أَمـرتُكم بشيءٍ فـأتـوُا منـه ماستطعتم**»[(٣)].

وقـد قال ابن القيّم: «... وقـال النبيُّ، ﷺ: «**لا تختلفوا فتختلفَ قُلوبكم**»[(٤)]!! وقال: «**اقرأوا القرآن مـا ائتلفت عليه قُلوبُكم، فإذا اختلفتُم فقوموا**»[(٥)].

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣١.

(٣) أخرجه البخـاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، بـاب الاقتداء بسنن رسول الله، ﷺ، رقم ٦٨٥٨، ومسلم في فضائل الصحابة، باب توقيره، ﷺ رقم١٨٣٠.

(٤) جزء من حديث البراء بن عازب، أخرجـه أبو داود في الصلاة، باب تسوية الصفوف، ٦٦٤ والنسائي في الإمامة، باب كيف يقوّم الإمام الصفوف ٢/ ٨٩، والبغوي في شرح السنة ٣/ ٣٧٣، بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، «باب كراهية الاختلاف ٦٩٣١، ومسلم في العلم، باب النهـي عن اتباع متشابـه القرآن ٢٦٦٧ من حـديث جندب بن عبدالله.

وكان التّنازع والاختلاف أشدّ شيء علىٰ رسول الله، ﷺ، وكان إذا رأىٰ من الصحابة اختلافًا يسيراً في فهم النُّصوص، يظهر في وجهه حتّى كأنّما فقِيء فيه حبُّ الرُّمان، ويقول: «أبهذا أُمرتم»[1]. »[2].

مضارّ الاختلاف:

إنَّ للاختلاف الكثير من المضارّ علىٰ الفرد والجماعة، بل على الأمّة أجمع، فبسبب الاختلاف تحدث الضّغائن، وتنشب الفتن، وتضطرم نيرانُها، وتتمزّق الوحدة، وتحلّ العقوبات، ولهذا قال ابن القيم:

«والمقصود أنّ الاختلاف منافٍ لما بعثَ الله به رسوله، قال عمر ـ رضي الله عنه ـ والمقصود: لا تختلفُوا، فإنّكم إن اختلَفتُم كان من بعدكم أشد اختلافًا.

ولمّا سمع أُبي ابن كعب، وابن مسعود يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد أو الثوبين، صعد المنبر وقال: رجُلان من أصحاب النبي ﷺ اختلفا، فعن أيّ فُتياكُم يصدر المسلِمُون؟ لا أسمعُ اثنين اختلفا بعد مقامي إلاَّ صنعت وصنعت[3].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٩٦، وابن ماجة في المقدمة ٨٥، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ورجاله ثقات، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. اهـ، وقد صححه شيخ الإسلام في الاقتضاء ١/ ١٤١.

(٢) إعلام الموقّعين ١/ ٢٥٩.

(٣) ماذا لو رأى أمير المؤمنين ما وقع في زماننا هذا من جُرأة بعضهم علىٰ الفتوى، وإصدار الأحكام بالتكفير والتبديع والتفسيق لأهل السنة من أهل العلم، رحماك رحماك ياإلٰهي، اللهمّ بصِّرنا بعيُوبنا، وارزُقنا خشيتك.

وقال عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه في الجنة ـ ، في خلافته لقُضاته : اقضُوا كما كُنتُم ، فإنّي أكرهُ الخلاف ، وأرجو أن أموتَ كما ماتَ أصحابي ، وقد أخبر النبي ، ﷺ ، أنَّ هلاكَ الأمم من قبلنا إنّما كان باختلافهم على أنبيائهم»[1].

☐ أسباب الاختلاف:

إنَّ هناك مجموعةً من الأسباب للاختلاف ، يطول ذكرها ، ولا يمكن استقصاؤها في هذه العُجالة ، لكن سأذكر ما أورده الشاطبيُّ من أسبابٍ باختصار.

السّبب الأول : أن يَعتقد الإنسان في نفسه ، أو يُعتقدَ فيه أنّه من أهل العلم والاجتهاد في الدِّين ، ولم يبلغ تلك الدَّرجة ، فيعمل على ذلك ، ويعد رأيه رأيًا ، وخلافه خلافاً!

السّبب الثاني : اتّباع الهوى[2].

ولذلك سُمِّي أهل البدع أهل الأهواء ، لأنَّهم اتَّبعُوا أهواءهم فلم يأخذُوا الأدلَّة الشّرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قدَّمُوا أهواءَهُم ، واعتمدُوا على آرائِهم ، ثمَّ جعلُوا ، الأدلّة الشّرعية منظُوراً فيها من وراء ذلك .

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) قال ابن بدران في العقود الياقوتية : «فالأهواء متى حَلَّت بصاحِبها أخذته عن الحقّ ، وجعلت الباطل سارياً في لحمه ودمه ، فإذا خالطه أحد حصلت له العدوىٰ منه . . .» . اهـ ص٤٨ .

السبب الثالث: التّصميم علىٰ اتِّباع العـوائد وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحقّ، وهو اتّباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وما شابه ذلك، وهو التقليد المذموم، فإنَّ الله ذمَّ ذلك في كتـابه، كقوله: ﴿**بَلْ قالُوا إنَّا وَجَدْنَا آباءَنا عَلَىٰ أُمَّةٍ**. . .﴾ اهـ[1][2].

وبـالجملة فمن الأسبـاب أيضاً الجهل، وقلـة العلم الشرعي وعـدم الرسوخ فيه، والعصبية للأشخـاص أو الجماعات، وقلة الورع والخشية لله تعالىٰ، وكـذلك نسيان التفكّـر في المعاد، ومـا أمام الإنسـان من الأهوال والأمـور العظـام، وكـذلك من الأسبـاب حبّ الغلبـة والشهـرة والسيطـرة والحسد وغير ذلك من الأمور.

فتبيَّن لنا ممَّا عرضناه آنفاً أنَّ الاختلافَ داءٌ يجب أن يحذره المؤمن، بل يجب أن يحاربـه ويحذِّر منه، وإنه لحـريٌّ بأهلِ العلمِ أن يُحذِّرُوا من هـذا الخطر الـذي يُحيطُ بسفينـة المجتمع من كل جـانب، بل عَليهم أن يَنْتَبِهُوا من الوقوع في هذا الفخ.

وإذا كـان هذا الأمـريجب أن يحذر منـه أهل العلم الذين هم ورثـة الأنبيـاء، فإنـه من باب أولىٰ أن يحتـاط ويَحـذر من هـو دونهم في العلم وممَّن هُم في بـدايـة الطلب، وكـذلك عـامـة النّاس الـذين أكثـر مـا تقع الاختلافات بينهم لجهلهم.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٢) الاعتصام ٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣، ٦٨٨. باختصار وتصرف.

قال ابن القيم: «إنَّ الاختلافَ سبب اشتباه الحقّ وخفائه[1]، وهذا لعدم العلم، الذي يميّز بين الحقّ والباطل»[2].

وإنّ من الاختلاف المؤلم، ما يقع بيْن بعضِ أهل العلم والصالحين ـ وهم قلةّ بحمد الله ـ فترىٰ بعضهم يسفّه بعضاً، في مسائل يكثر فيها الخلاف! ونحو ذلك، فينتصر الواحد لرأيه، ويعادي من يخالفه، بل رُبّما تجرّأ أحدهم بالحكم على الآخر بالبدعة، أو الكفر؟ لتأويل تأوّله! وهذا من الخذلان، واتباع نزغات الشّيطان، ومن طُرُقِ أهلِ الأهواء.

قال شيخ الإسلام: «واعلم أنّ أكثر الاختلاف بين الأمة، الذي يُورثُ الأهواء، تجده من هذا الضّرب وهو: أن يكون كلُّ واحد من المختلفين مصيباً فيما يُثبته، أو في بعضه، مُخطِئاً في نفي ما عليه الآخر»[3].

ثم قال: «فإنَّ أكثر الجهل إنّما يقع في النّفي الّذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأنَّ إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه»[4].

ثم ذكر شيخ الإسلام كلاماً نفيساً في مَعْرِضِ حديثه عن الاختلاف المذموم، وأسبابه فقال: «وهذا الاختلاف المذموم مِنَ الطَّرفين، يكون سببه تارةً فساد النيّة، لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في

---

(١) في الأصل وخفاؤه!.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٢٥٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٤، ١٢٥.

(٤) المصدر السابق نفسه.

الأرض ونحـو ذلك، فيجب لـذلك ذم قول غيـره أو فعلـه أو غلبته ليتميّـز عليه، أو يجب قول من يوافقه في نسب أو مـذهـب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك، لما في قيام قـوله من حصول الشرف له والرّئاسة، ومـا أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلمٌ.

ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمـر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحـدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم، أو في الـدّليل، وإن كان عالمًا بمـا مع نفسه من الحق حكمًا ودليلاً.

والجهل والظلم، هما أصل كلّ شـرّ، كما قال سبحـانه: ﴿وحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كانَ ظلُوماً جهُولاً﴾[1]. »[2].

قلت: وقد ذكر شيخ الإسلام بعد ذلك أنواع الاختلاف، وبيَّن أنهما اختلاف تنـوّع، واختلاف تضـادّ، واسترسل ـ يـرحمه الله ـ في بيان ذلك بكـلام دقيـق وثمين، لـولا خشيــة الإطـالــة لنقلتـه، لكن على طــالب الاستزادة، الرجوع إليها فهي فوائد يُرحل من أجْلِها!

☐ معنى الافتراق:

باديء ذي بدء نقول: إنَّ التفرُّق ليس معناه مجرد الاختلاف في الآراء وما إلى ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

فالاختلاف ـ كما مرّ معنا ـ هـو المرحلة الموطِّئة للتّفرق والتناحر إذا اشتد الاختـلاف، والله سبحانه وتعـالى يقول محـذّراً عباده: ﴿وَلَا تنازعُوا فتَفْشَلُوا وتَذْهبَ رِيحُكُم واصْبِرُوا إنَّ الله مَعَ الصَّابِرينَ﴾[1].

فعاقبةُ الاختلاف والتنّازع، التّفرُّق والضّياع والهلاك وتشتّت الشّمل، والفشل الذّريع.

ومعنىٰ التفرق كمـا قال ابن الأثير: «والتفرُّق والافتـراق سواء، ومنهم من يجعل التفـرُّق بـالأبـدان، والافتـراق فـي الكـلام، يقـال: فـرقْتُ بينَ الكلاَمين فافترقا، وفرّقتُ بينَ الرَّجُلين فتفرّقا»[2].

إذن يُـمكن أن يقال: إنَّ التّفـرُّق ضد الاجتماع قال الـرَّاغب: «الفرقُ يقـاربُ الفلْقَ، لكنِ الفلْقُ يقالُ اعتبـاراً بـالانشقاق، والفـرقُ يقالُ اعتبـاراً بالانفصـال، قال تعـالى: ﴿وإذْ فَـرقنَا بكُم البحـرَ﴾[3]. والفِرْقُ القطعـةُ المنفصلةُ، ومنه: الفِرْقةُ للجماعةِ المتفرِّدة من الناس، . . . . . والفريقُ: الجماعة المتفرّقةُ عنْ آخرِين»[4].

وقال ابن منظـور: «الفرْقُ خلافُ الجمع، فَـرَقه يَفرُقُـه فرْقاً، وفـرَّقه، وقيل: فَرقَ للصَّـلاحِ فرْقاً، وفـرَّقَ للإفسـادِ تفريقاً، وانفـرقَ الشيء وتفرَّقَ وافْترَقَ».

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) النهاية ٣/ ٤٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٦٣٢، ٦٣٣.

والفُرْقـةُ: مصدر الافتراق، قال الأزهـري: الفُرْقةُ اسم يـوضعُ موضعَ المصدر الحقيقي من الافتراق.

وفي حـديث ابن مسعـود: صَلَّيـت مع النبي، ﷺ، بمنًى ركعتين، ومع أبي بكر وعمر، ثمَّ تفـرّقَت بكمُ الطّرُق، أيْ ذهبَ كلٌّ منكُم ومالَ إلى قولٍ، وتركتُم السُّنّة.

وفارقَ الشّيْءَ مُفـارقةً وفِراقًا: بـاينهُ، والاسم الفُرْقة. وتفـارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، وفارقَ فلانٌ امرأته مُفارقةً وفِراقاً: باينَها.

والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفَريقُ: الطَّائفةُ من الشيءِ المتَفَرِّق. والفِرْقةُ: طائفةٌ من الناس، والفريقُ أكثرُ منه»(١).

فـالافتـراق إذن مـأخـوذٌ من المبـاينـة، والمفــارقـة، والانقطـاع، والانفصال عن الجماعة.

والافتراق في الديـن هو الخروج عن أهل السنة والجمـاعة في أصول الدين، ومخالفتهم، والبعد عنهم.

ومخالفـة صراط الله المستقيم وحبلـه المتين، وركوب الهـوى، وما يمليه الشيطان، وأتباعه.

☐ ذمّ التفـرُّق:

إنَّ التّفرُّق والشّتات مذموم ومكروه، ولقد ذمَّـهُ الله ـ تعالى ـ في كتابه

---

(١) لسان العرب ١٠/ ٢٩٩، ٣٠٠ مادة فرق.

الكريم «ونهىٰ عن التّفرّق والتنازع، فقال: ﴿شَرَعَ لكُم مِّن الدِّين ما وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً والَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إِبْرَاهِيمَ ومُوسَىٰ وعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولاَ تَتَفَرَّقُوا فيه﴾[1]. وقال: ﴿وَلاَ تكُونوُا كَالَّذِينَ تَفرَّقُوا واخْتَلفوا مِن بعْدِ ما جَاءَهُمُ البيِّنَاتُ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّ الذِينَ فرَّقُوا دِينهمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ منهم فِي شَيْءٍ﴾[3]. وقال: ﴿وَأَطِيعوا الله ورَسَولهُ ولاَ تنازَعُوا فتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4]. وقال: ﴿فتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[5]. والزُّبر: الكتب، أيْ كلّ فرقة صنَّفُوا كُتباً أخذوا بها وعملوا بها، ودعوا إليها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[6].

قال ابن عباس: تبيضّ وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل الفُرقة والاختلاف»[7].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، والمقصود أنّ التَّفرق والتناحر من الأمور التي حذَّر الله منها، لأنها من أسباب هلاكِ الأمم السابقة التي

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣، وقوله: ﴿أن أَقِيمُوا الدِّين وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. قال ابن كثير في تفسيره ٤/١١٨: «أي أوصىٰ الله جميعَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهُم عن الافتراق والاختلاف». اهـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٧) إعلام الموقعين ١/٢٥٨، ٢٥٩.

أَعْمل الشّقاق فيها وحلَّ التنازع والتفرق، وأصبحوا فرقاً وطوائف وجماعات، وأصبح ﴿كُلُّ حِزْبِ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ﴾[1].

ولقد كان رسول الله، ﷺ، يُحذّر أمّته من التّفرُّق حتّى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السّالفة، فيحل ّعليها عذاب الله وهلاكه فعن أبي هريرة ـ رضي اللهعنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**إنَّ الله يَرْضىٰ لكُم ثلاثاً، ويكرهُ لكم ثلاثاً، فيرضىٰ لكم أنْ تعبدُوه ولا تُشركوُا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبْلِ الله جميعاً ولا تفرّقُوا، ويكرهُ لكُم قيلَ وقالَ، وكثْرةَ السُّؤال و إضاعةَ المال**»[2].

قال الإمام النّووي: «وأما قوله، ﷺ: «**ولا تفرّقُوا**» فهو أمرٌ بِلُزُوم جماعة المسلمين، وتألّف بعضهم ببعض، وهذه إحدىٰ قواعد الإسلام، واعْلَم أَنَّ الثلاثةَ المرضيَّةَ، إحداها: أن يعبُدوه، الثانية: أن لا يُشرِكُوا به شيئاً، الثالثة: أن يعتصِمُوا بحبْلِ الله ولا يتفرّقُوا»[3].

☐ أنواع الفُرقة:

قال الحافظ الخطَّابِيّ: «الفُرقةُ فُرْقتَان:

١ ـ فُرقةُ الآراء والأديان.

٢ ـ وفرقةُ الأشخاص والأبدان. . . . .

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٥٣.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ١٧١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ١١.

فأمّا الافتراقُ في الآراءِ والأديان فإنّه محظورٌ في العقول، مُحرّمٌ في قضايا الأُصول، لأنهّ داعيةُ الضّلال، وسببُ التّعطيلِ والإِهمالِ، ولو تُرك النّاسُ متفرّقينَ لتفرّقتِ الآراءُ والنِّحلُ، ولكثرت الأديانُ والمِللُ، ولم تكن فائدةٌ في بِعثة الرُّسُل، وهذا هو الّذي عابَه اللهُ ـ عزَّ وجل ـ من التفرُّقِ في كِتابِهِ وذمَّه...».

ثم قال: «وأمّا عُزلةُ الأبدان، ومُفارقةُ الجماعة الّتي هي العوامُّ، فإنَّ منْ حكمها أنْ تكونَ تابعةً للحاجَةِ، وجاريةً مع المصْلَحة، وذلك أنَّ عِظَمَ الفائدة في اجتماع الناس في المدن، وتجاورهم في الأمصار إنّما هو أَنْ يتضافروا فيتعاونوا على المصالح، ويتوازروا فيها إذا كانت مصالِحهُم لا تكمُلُ إلاّ به، ومعايشهُم لا تزكُوا إلاّ عليه...»(١).

☐ حقيقة افتراق هذه الأمة:

لقد أخبر الصّادق المصدوق، عليه الصّلاة والسّلام، أن أمّته ستفترق حتمًا لا محالة، وهذا التفرُّق من الابتلاء لهذه الأمة، وهو ذمٌ لمن زاغ وابتعد عن أهل السنةوالجماعة، وتحذيرٌ من التفريق والانحراف.

وهذا الخبر عنه، ﷺ، من الأخبار الصحيحة، فقد ورد حديث الافتراق من طرق كثيرة، من حديث أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وأبي أُمامة، وجابر بن عبدالله، وابن مسعود، وسعد بن أبي

---

(١) كتاب العزلة ٥٧، ٥٨.

وقّاص، وأبي الـدرداء، وواثلة بن الأسقع، وعلي ابن أبي طـالـب، وعمرو بن عـوف المــزني. أنَّ النبي، ﷺ، قـال: «**افترقت اليهـود على إحدىٰ وسبعين فرقةً، وافتـرقت النَّصارَىٰ على اثنتين وسبعين فرقـةً، وستفترق هذه الأمَّة على ثـلاث وسبعين فرقةً كلُّها في النَّـار إلَّا واحدة**». قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

وفي رواية: «**الجماعة**» وفي رواية: «**السواد الأعظم**»(١).

وهذا الخبـر من الأمور الغيبيّة التي أخبر عنهـا، ﷺ، وهو من دلائل نبوته.

وحقيقـة الافتراق ليس المقصـود بها مطلق الافتـراق، «بحيث يطلق صور لفظ الاختلاف على معنًى واحد، لأنّه لا يلزم أن يكون المختلفون في مسائل الفـروع داخلين تحت إطلاق اللّفظ، وذلك باطل بـالإجماع، فإنَّ الخلاف من زمـان الصّحابة إلى الآن واقـع في هذه المسائل الاجتهـادية، وأوّل ما وقع الخلاف فـي زمان الخلفاء الراشدين المهـديِّين، ثم في سائر الصحـابـة، ثم في التابعيـن، ولم يعب أحـد ذلك منهم، وبالصحـابـة اقتدىٰ من بعدهـم في توسيـع الخلاف، فكيف يمكن أن يكون الافتراق في المذاهب مما يقتضيه الحديث؟

وإنَّما يُرادُ افتراق مقيَّـد، وإنْ لـم يكن في الحديث، نصٌ عليه، ففي

(١) ولقد مَنَّ اللهُ على العبد الضَّعيف بجمع طـرق حديث الافتراق في جزء عنـوانه: «بغية المشتاق في جمع طـرق حديث الافتـراق»، نسأل الله القبول والسداد والتـوفيق، يسَّر الله نشره قريباً.

الآيات ما يدلّ عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولاَ تكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَـانُوا شِيَعاً لسْتَ مِنْهُم في شَيْءٍ﴾[٢].

وما أشبه ذلك منَ الآيـات الدّالة على التّفرُّقِ الّذي صـارُوا به شيعاً، ومعنىٰ صاروا شيعاً، أي: جماعـات بعضهم قد فارق البعض! ليسُوا على تآلُفٍ ولا تعـاضد وتناصـر، بل على ضدِّ ذلك، فإنَّ الإسلام واحـد، وأمره واحد، فاقتضىٰ أن يكون حكمه على الائتلاف التامِّ لا على الاختلاف.

وهذه الفـرقة مشعـرةٌ بتفرُّق القلـوب، المشعر بـالعداوةِ والبغضـاءِ، ولذلك قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً ولا تفرَّقُوا﴾[٣].

فبيَّنَ أنَّ التأليفَ إنّمـا يحصل عنـد الائتـلاف على التّعلُّق بمعنىً واحد، وأمَّا إذا تعلّق كل شيعة بحبلٍ غير مـا تعلقت به الأُخرىٰ، فلابُدَّ من التفرُّق، وهو معنىٰ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِه﴾[٤]. »[٥].

حـ ☐ كم الفرق المتفرقة عن هذه الأمة:

لقد بيّن الرسول ، ﷺ ، ـ في حـديث الافتراق ـ أنَّ أمته ستفترق إلى

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣١ ، ٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٧٠٠ ، ٧٠١.

فرق عدة، وحكم على هذه الفرق أنّها فـي النار إلاَّ فرقة واحدة منها، وهي الجماعة، هي الفرقة الناجية أهل السّنة والجماعة.

لكن يُلاحظ أنَّ رسـول الله، ﷺ، عندمـا قال: «**كلّها في النّار**»، لم يُخلِّدهم فـي النّار. بل جعلهم في دائرة الإسـلام، وبالتّالـي لا تُكفَّر تلك الفرق كلُّها.

قال شيخ الإسلام: «. . . فمن كفّر الثنتين والسّبعين فرقة كلّهم، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتّابعين لهم بإحسان، . . . . . وليس قوله: «ثنتـان وسبعون في النّار وواحدة في الجنَّـةِ» بأعظم من قوله ـ تعالىٰ ـ: **﴿إنَّ الَّذينَ يَأكُلُـون أمْوَالَ اليَتَامَىٰ ظُلْماً إنَّمَا يَأْكُلُـونَ في بُطونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾**[1]. وقوله: **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلماً فَسَوْفَ نُصْلِيه نَاراً وكانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيراً﴾**[2].

وأمثال ذلك من النُّصوص الصّريحة بدخول من فعل ذلك النّار.

ومع هـذا فلا نشهـد لِمعيَّن بـالنَّـار لإمكان أنّـه تـاب، أو كانت لـه حسنات مَحت سيئاته، أو كفَّرَ اللهُ عنه بمصائب أو غير ذلك»[3].

وقال الـذهبي: «. . . . وإذا قال المسلم: **﴿رَبَّنَا اغْفِر لنا ولإخْوَانِنَا الَّذِين سَبَقُونَا بالإيمَانِ﴾**[4]، يقصد كلَّ من سبقه من قرون الأمّة بالإيمان،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء الآية: ٣٠.

(٣) منهاج السنة النبوية ٥/٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

وإنْ كان قـد أخطأ في تأويل تأوَّله مخالف السنّة، أو أذنب ذنبـاً، فإنه من إخـوانه الـذين سبقـوه بالإيمـان، فيدخـل في العموم وإن كـان من الثنتين والسبعين فـرقـة، فإنه مـا من فـرقـة إلاَّ وفيهـا خلق كثير ليسـوا كفـاراً، بل مـؤمنين، فيهـم ضـلالٌ وذنبٌ يستحقّون بـه الـوعيـد كما يستحقـه عصـاة المؤمنين، والنبي ﷺ، لم يُخرجهم مـن الإسلام، بل جعلهم من أُمّته ولم يقل إنّهم يخلدون في النار، فهذا أصلٌ عظيم ينبغي مراعاته»[1].

□ تنبيـــــه

اعلم ـ يرحمكَ الله ـ بأنه يُستثنىٰ من ذلك: «أن يُخرج منَ الحسابِ، غُـلاة أهـلِ البـدع، ولا يُعـدُّون مِنَ الأُمَّـةِ ولا في أهـلِ القبلـة . . . . . . كالحُلُوليّة[2]، والمنصوريّـة[3]، وأشبـاهِهِم مِنَ الغُـلاةِ»[4] من الأفـراد، والطوائف والفرق.

---

(١) المنتقىٰ من منهاج السنة النبوية ٣٣٤.

(٢) الحلولية هم: الذين يعتقدون أنَّ الله تعالى بذاتـه حلَّ في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيراً.

(٣) المنصوريـة هم: أتباع أبي منصور العجلي، كـان يسكن الكوفة، وكان أُميًّا لا يقرأ، وقد ادَّعىٰ أنه خليفة الباقر، ثم ألحد في دعواه، فزعم أنه عُرِجَ به إلىٰ السماء، وأن الله تعـالى مسح بيـده على رأسـه، وقـال: يـا بنـي بلِّغ عني ثم أنـزلـه إلىٰ الأرض، قـال عبدالقاهر البغدادي: «وكفرت هذه الطائفـة بالقيامة والجنَّة والنار، وتأولوا الجنة على نعيم الدنيا، والنـار على محن الناس في الدنيـا، واستحلوا ـ مع هذه الضلالـة ـ خنق مخالفيهم)، واستمرت فتنة هذا الضال حتى صلبه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في زمانه (الفرق بين الفرق).

(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي ص٣٦.

☐ الإشارة إلى أنّ الحق واحد لا يتعدّد:

أمّا قوله، ﷺ: «**إلَّا واحدة**»، **فيؤخذ** منه أنّ الحقَّ والهدَىٰ واحد لا يتعدّد ولا يختلف.

قال الإمام الشّاطبي: «إنَّ قوله، عليه السلام: «**إلَّا واحدة**» قد أعطىٰ بنصّه أنَّ الحقَّ واحد لا يختلف، إذْ لو كان للحقِّ فِرَقٌ أيضاً لم يقل: «إلَّا واحدة»، ولأنَّ الاختلاف منفيٌّ عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المختلفين لقوله ـ تعالى ـ: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ والرَّسُولِ﴾**(١). إذْ ردُّ التَّنازع إلى الشّريعة، فلو كانت الشّريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرَّدِّ إليها فائدة، وقوله: **﴿في شيء﴾** نكرةٌ في سياق الشّرط، فهي صيغة من صيغ العُموم، فالرَّد فيها لا يكون إلَّا أمر واحد، فلا يسع أن يكون أهل الحقّ فرقاً، وقال ـ تعالىٰ ـ: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾**(٢). وهو نصٌّ فيما نحنُ فيه، فإنَّ السَّبيلَ الواحد لا يقتضي الافتراق، بخلاف السُّبل المختلفة»(٣).

وممَّا يؤكد أنَّ الحقّ واحد، ما ورد في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خَطَّ لنا رسول الله، ﷺ، خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيلُ الله**». ثم خطَّ خُطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سُبُلٌ علىٰ كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ: **﴿وَأَنَّ هَذا صِرَاطِي مُسْتَقِيْماً فاتَّبِعُوهُ﴾**(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) الاعتصام ٢/ ٧٥٥.

(٤) حديث صحيح، سيأتي تخريجه ص٦٨.

☐ الفرقة الناجيـة:

إنَّ الفرقـةَ النَّاجيـة واحدةٌ بـلا شكّ، لكن هذه الفـرقة لهـا أوصاف متعددة، ويعسر أن تُحدّد لها صفةٌ واحدةٌ!؟.

قال الإمام النووي: «يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجـاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحـدث ومفسر، وقائم بالأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وزاهـد وعابد، ولا يلزم أن يكـونُوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الـواحد، وأن يكونوا في بعض منه دونَ بعض، ويجوز إخـلاء الأرض كلها من بعضهم أوّلاً فأول، إلى أنْ لا يبقىٰ إلاَّ فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاءَ أمر الله . . . . .»(١).

وقال العلامـة عبدالرحمن بن حسن، بعد إيـراده لحديث الافتراق: «. . . . فتبيَّن بهذه الأحاديث، أنّ الفرقة الناجية مِنَ الثلاث والسَّبعين هي التي تمسَّكت بكتـاب الله، وأخلصُوا العبادة، واتَّبعُـوا رسولـه، فإنَّ أصلَ دين الإسلام أن لا يعبدوا إلا الله، وأن لا يعبد إلاَّ بما شرع»(٢).

وسيأتي في حاشية التحقيق مزيد إيضاح لذلك إن شاء الله تعالى.

☐ الإشارة إلى تعيين الفرق:

اعلم ــــ علَّمكَ الله وإيَّــاي ــــ بأنّ كثيــراً ممَّن كتب عن الفـــرق

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ٧٤.

الإسلامية، أخذ يحاول تعداد هـذه الفرق، وحصرها لتبلغ العدد الذي ورد في الحديث.

وهــذا أمــرٌ لا يتـأتَّىٰ، ولا ينضبط، ويصعب تحــديــده، قــال الطرطوشي: «واعلـم أنَّ هذا الحديث قد طاشت فيـه أحلامُ الخلق، وفي معرفة هذه الفِرَق، وهل كمُلُوا بعدُ أمْ لا؟»[1].

ففي كلّ زمـان تأتي فـرق وتنشأ، لم تكن معـروفـة من قبل، وستأتي إشارة لهذه المسألة في الحاشية أيضاً.

☐ بدايـة التفـرق:

لقـد أخذ أعـداء هـذا الدين بـالكيـد له ولأتبـاعه، وقـامـوا بتطويـر مؤامـراتهم ودسائسهم في زمن عمـر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقد تآمروا لقتله، فكان استشهاده على يـد المجرم الآثم أبي لؤلؤة المجوسي، مولىٰ المغيرة بـن شعبة، ومما لا شكّ فيه أن مقتل عمـر بن الخطاب كان نتيجة مؤامرة دنسة، قام بها الفرس المجوس، حيث كانت قلوبهم تمتلىء بالكراهية الشّديدة، والحقد الدّفين، وقد اشترك معهم النّصارىٰ واليهود.

ذلك لأنَّ الخليفة عمر قد أزال سُلطانهم، وفتح بلادهم، لإعلاء راية التوحيد، وتعتبر تلـك الحادثة بداية لسلسلةٍ من الفتن والمـؤامرات الدنيئة على هذه الأمة.

فبموت عمر بن الخطاب انـدلعت الفتن، فقد كان بين اندلاع الفتن

---

(١) الحوادث والبدع ص٣٣.

على هذه الأمّة باب أخبر عنه رسول الله ، ﷺ، بأنه سيكسر، فقد أخرج الإمام البخاري من طريق شعبة ، عن سليمان ، سمعت أبا وائل يحدِّثُ عن حذيفة أنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : أيُّكم يحفظُ قول رسول الله ، ﷺ ، في الفتنة؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ كما قال ، قال : هاتِ إنَّك لجريء ، قال رسول الله ، ﷺ : **«فتنة الرّجل في أهله وماله ، وجاره تكفّرُها الصّلاة والصّدقة ، والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر، قال ليست هذه ، ولكن التي تموجُ كموج البحر، قال : يا أمير المؤمنين لا بأسَ عليك منها ، إنَّ بينك وبيْنها باباً مغلقاً ، قال : يُفتحُ البابُ أو يُكسر؟ قال : لا، بل يُكسر. قال : ذلك أحرىٰ أنْ لا يُغلق ، قُلنا : عَلِمَ الباب؟ قال : نعم! كما أنَّ دونَ غدِ الليلة ، إنِّي حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط ، فَهِبْنا أنْ نسأله ، وأمَرنا مَسروقاً ، فسأله فقال : من الباب؟ قال : عمر»**[1] .

فمن يوم أن توفىٰ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، اندلعت على المسلمين الفتن التي تموج كموج البحر.

وتولّىٰ الخلافة بعده ذو النُّورين ، خليفة المسلمين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ، وفي عهده قام وتحرّك المنافقون ، بقيادة زعيمهم الهالك ابن السوداء اليهودي ، عبدالله بن سبأ ، بإثارة الخلافات والاضطرابات والفوضىٰ ، هذا الرجل الذي أعلن إسلامه مُخفياً كفره من أجل ضرب وحدة المسلمين ومحاربة هذا الدين .

---

(١) البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام رقم ٣٥٨٦ .

فقام بكل جهد بنشر تعاليمـه، وآرائه الخبيثة التي تُبيِّن مدىٰ ما يُكنُّه من حقد مدفون للإسلام.

فأخـذ يتنقَّلُ بين البُلْدان بـاحثاً عن المنـافقين، وضعاف النّفـوس، والجهلة ليتخذهم أعواناً له لتنفيذ خططه، فقام مع أعوانه بنشر الأكاذيب الملفقـة على عُثمـان بن عفـان خليفـة المسلمين، وولاتـه وأنهم ظلمُـوا وتجبّــروا، وأكلُـو أمــوال المسلمين... إلخ!! وكلها كــذبٌ، وزور، وبهتان، ودجـل؟! وكان هذا الخبيـث يُعلِّمُ أعوانه وأتبـاعه، ويُـرسِّخ في عقولهم مبـاديء كافرة، كـالقول برجوع الـرَّسول، ﷺ، والوصـاية لعلي، (أي أن الرسول، ﷺ، قـد وصّىٰ بالخلافة من بعـده لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ)، وسبِّ الصّحابة.

وهذه هي عقائد الرّافضة، منذ برزوا وظهروا إلى اليوم، بل زادت من الضلال والانحراف.

حتى تـآمروا على قتل عثمـان بن عفان، واستطـاعوا ذلك، وبقتلـه اندلعت الخلافات! وتفرّقت الأُمة، بل وسلَّ بعضهم علىٰ بعض السيوف! وسالت الدمـاء الطاهرة الزكيّة من الجميـع، وقُتِلَ من قُتل، واستمرَّ التّفرُّق ظاهراً وواضحاً فيما بعد إلى اليوم.

☐ **تنبيــه مهم:**

وقد كره علماء السنة، الحـديثَ عن الفتنة وما جرىٰ وحدث، حيث لم يروا في ذلك فـائدةً! فالواجب الـذي يتحتّم على المسلمين، أن يُبرزوا

حسناتهم والدعاء لهم، والإمساك عمّا وقع.

قال شيخ الإسلام: «من مذهب أهل السنة والجماعة، الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم».

وما أَحسن قول القحطاني الأَندلسي في نونيته:

دَعْ ما جَرىٰ بينَ الصَّحابَةِ في الوَغَىٰ
بِسيُوفِهِم يومَ التقىٰ الجَمْعَانِ
فقَتِيلُهم مِنهُم وقَاتِلُهم لَهُم
وكِلاَهُما في الحَشْرِ مَرحُومَانِ
واللهُ يومَ الحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ ما
تَحْوِي صُدُورُهُم مِنَ الأَضْغَانِ

لقد كان من علامات نُبوَّة المصطفىٰ، ﷺ، ما أَخبر به عن الفتن الّتي ستُبتلىٰ بها هذه الأُمة، خُصوصاً الفتنة التي أدَّت إلى مقتل الخليفة عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ، فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري قال: خرج النبي، ﷺ، إلى حائط من حوائط المدينة لحاجته، وخرجتُ في إثْرِه، فلما دخل الحائط جلستُ على بابه، وقلتُ:

لأكُونَنَّ اليوم بوَّابَ النبي، ﷺ، ولم يأمُرني، فذهب النبي، ﷺ،

وقضىٰ حاجته، وجلس علىٰ قفِّ البئر، فكشف عن ساقيه ودلاَّهُما في البئر، فجاء أبو بكر يستأذنُ عليه ليدخُلَ، فقلتُ، كما أنت حتىٰ استأذِنَ لك، فوقف، فجئت إلى النبي، ﷺ، فقلت: يا نبيَّ الله، أبو بكر يستأذن عليك؟ قال: «أئذن له وبشِّره بالجنة» فدخلَ، فجاء عن يمين النبي، ﷺ، فكشفَ عن ساقيه ودلاَّهما في البئر، فجاء عمر، فقلت: كما أنت حتى استأذنَ لك، فقال النبي، ﷺ،: «أئذن له وبشِّره بالجنة»، فجاء عن يسار النبي، ﷺ، فكشف عن ساقيه فدلاَّهما في البئر، فامتلأ القُفُّ، فلم يكُنْ فيه مجلسٌ، ثم جاء عثمان، فقلت: كما أنت حتى استأذن لك، فقال النبي: «أئذن له وبشِّره بالجنة معها بلاءٌ يصيبُه»، فدخل فلم يجد معهم مجلساً، فتحوَّل حتَّىٰ جاء مقابلهم على شفَّة البئر، فكشفَ عن ساقيه ثمَّ دلاَّهما في البئر، فجعلتُ أتمنّىٰ أخاً لي، وأدعُو الله أن يأتي».

قال ابن المسيَّب: فتأوّلتُ ذلك قُبورهم، اجتمعت ها هنا وانفرد عثمان(١).

قال الحافظ ابن حجر عند قوله: «... بلاءٌ يُصيبُه...». «هو ما وقع له من القتل الذي نشأت عنه الفتن الواقعة بين الصّحابة في الجَمَل، ثم في صَفّيْن، وما بعد ذلك. قال ابن بطال: إنّما خصّ عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضاً! لكون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن عثمان

---

(١) البخاري، في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر رقم ٧٠٩٧ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه رقم ٢٤٠٣.

من تسلّط القوم الـذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب مـا نسبوه إليه من الجور والظلم!! مع تنصُّله من ذلك واعتـذاره عن كل ما أوردوه عليه، ثم هجُومهم عليه داره، وهتكهم ستر أهله، وكلّ ذلك زيادة على قتله».

ثمّ قال ابن حجـر: وحاصله أن المـراد بالبلاء الذي خصّ بـه الأمور الزائدة على القتل وهو كذلك»[١].

وعلىٰ ذلك نقول بأن بداية التفرق من مقتل الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

☐ أسبابُ التفرُّق، ونشأة الفرق الإسلامية:

للتّفرق أسباب كثيرةٌ وسأذكر شيئاً منها على سبيل الإجمال:

أولاً: لعلَّ من الأسباب التي أدت بالأمة إلى التّفـرق، ما يدبِّره أعداء الـدين من كيدٍ وتـآمرٍ في كلّ حين، فـلا يقرّ لهم قـرار، ولا يهدأ لهم بـال والإسلام يمتـد في مشارق الأرض ومغاربهـا، فلذا حاولـوا الحد من زحف الإسـلام وانتصار المسلمين بـالقـوة، ولكن هذه الطـريقـة لم تؤدِّ الثّمـرة المطلوبة عندهم، ذلك أنَّ المسلمين كانوا في قوّة وترابط تجمعهم عقيدة التـوحيـد الصـافية، عنـدهـا وجـدوا أنَّ أفضل طـريقـة لتمـزيق وتشتيت المسلمين تكمن في تفريقهم إلى فرق وأحزاب وجماعات.

وهذا ما نلحظه منذ بدايـة الفتنة التي أدت إلى الافتراق في هذه الأمة

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٥٥.

عندما جاء الخبيث الآثم ابن السوداء، وأخذ يتربّص بالمسلمين، ويطلع على أمورهم، ويتصيد الفرص لإحداث الخلاف والفرقة.

وهناك ـ أيضاً ـ من أعلن إسلامه عندما رأىٰ أن المسلمين قد بسطوا نفوذهم، وفتحوا الدِّيار، فاضطر إلىٰ التظاهر بالإسلام! لكن مع هذا كان يكن الحقد والبغض، ويتمنىٰ أن يضرب ضربته لتمزيق المسلمين، وتفتيت وحدتهم، ويسعىٰ لإشعال الفتنة في صفوف المسلمين.

ثانياً: من أسباب الفرقة، التّعصّب للمذهب والجماعة، وخلاف ذلك، فالمتعصّب يتمسك برأيه، ويرفض ما يخالفه، حتَّىٰ ولو كان حقًّا، وماذاك إلاَّ أن التعصب يدفع صاحبه إلى معاداة من يخالف ما يدعو إليه، ويتعصّب لرأيه ومذهبه. وهذه في الحقيقة من خصال اليهود كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ**﴾(١).

فاليهود كانوا يعرفون الحقّ قبل ظهور النّبي ﷺ، لكن عندما جاء من غيرهم، نابذوه العداء، ورفضوه وكذّبوه ولم ينقادوا له، بل أعرضوا وتولَّوا عنه.

ثالثاً: التقليد والجهل، وهو من الأسباب الأكثر انتشاراً بين الناس، تجد من الناس من يقلِّدُ غيرَه بجهلٍ وعدم علمٍ ومعرفةٍ، وهذا السبب ينضم إلى السبب الذي قبله وهو التعصب، ترىٰ الجاهل يحب أن يقلِّد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩١.

غيره ويتعصّب لذلك، وهُوَ تقليدٌ مذمـومٌ يؤدِّي بصاحبه إلى معاداة الحق وأهلـه وعندمـا نقول التقليـد، فـلا نقصد تقليـد العلماء وأهل المـذاهب المتبوعة؛ بل التقليد لكل ما يتلقفه الشخص دون تمحيص ودراية، بل إذا أُعجب برأي نافح عنه ودعا إليه تقليداً عن جهل، فاتباع الأئمة على علم وهدىً وبصيرة أمر مشكور.

رابعاً: عدم تمييز الحقّ من البـاطل، فالإهمـال في محاربـة البدع والضلالات ومكافحتها يـؤدّي إلى اختلاط ذلك على كثير من المسلمين ويتلبس بعضهم بالبدع وربما بالشركيات جهلاً، ويَحدُث عن ذلك التفرق في الأمة، فالتحـذير من البدع وأهلها أمرٌمطلوب لنصـر السنة، ولا يكون ذلك إلاّ لأهل العلم.

خامساً: الإهمـال في تعلّم الكتـاب والسّنـة على فهم سلف هـذه الأمّة، فمتىٰ أهمل النّاس تعلم العلم الشـرعي على يدي علماء سنة، فإن ذلك يـؤدي إلى إحــداث التّفـرق في الصفــوف، لأنَّ الجهل والتقليــد والتعصب والابتداع سيحلّ بين الناس، وفي ذلك شرٌّ عظيمٌ.

سادساً: تلقّي كلّ فكر وافد والاقتنـاع به، ومن جرّاء ذلك نشأت في صفـوف المسلمين مجموعـات ممّن تأثـروا بأفكـار وفلسفـات منحرفـة! فأخـذوا ينشرون ضـلالهم بين الناس بكـل الوسـائل الدعـوية، المقـروءة والمسموعة، وهذا من الأسباب القوية للتفرق.

سابعاً: إهمال القيام بواجب الأمـر بالمعروف، والنّهي عن المنكر،

فإن القيام بهذا الواجب يُعتبر حصناً منيعاً لهذه الأمة من الفتن والتفرق، وسبباً لتآلُفها واتِّحادِها، وتماسُك أفرادها، بإهماله تدبُّ الأمراضُ وتحلُّ المُنازعات؛ والتّناحر والتّفرّق[1].

□ نصيحة غالية للإمام البَرْبَهَاري[2]:

قال الإمام البَرْبَهاري: «واعلم أنَّ رسول الله، ﷺ، قال: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلاَّ واحدة**» وهي الجماعة!، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». هكذا كان الدين إلىٰ خلافة عمر بن الخطاب، الجماعة كلها، وهكذا في زمن عثمان، فلما قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ جاء الاختلاف والبدع، وصار النّاس فِرقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أوّل التغيير، وقال به وعمل به، ودعا إليه.

وكان الأمر مستقيماً حتّىٰ كانت الطبقة الرابعة «في خلافة فلان»[3]، انقلب الزمان، وتغيّر الناس جدًّا، وفشت البدع، وكثر الدّعاة إلى غير سبل الحقّ والجماعة، ووقعت المحنة في كلّ شيءٍ لم يتكلم به رسول الله، ﷺ، ولا أحد من الصّحابة، ودعوا إلى الفُرقة، ـ وقد نهىٰ الله عز

---

(١) هذه بعض أسباب التفرق، وهناك الكثير ممَّا لا يُحصىٰ، وقد ذكر فضيلة الدكتور ناصر العقل ـ يحفظه الله ـ بعض الأسباب في رسالته «الافتراق» يحسن الرجوع إليها والاستفادة منها.

(٢) أَبو محمد الحسن بن علي بن خلف البَرْبَهَاري، الإمام القدوة إمام أَهل السنة والجماعة في عصره، كان شديداً على أَهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر، تُعظِّمه الخاصة والعامة، كما قال الحافظ ابن كثير. توفي سنة ٣٢٩ هـ.

(٣) لعله ـ والله أَعلم ـ يقصد المأمون!.

وجل عن الفرقة ـ، وكفّر بعضهم بعضاً، وكلٌّ دعا إلى رأيه، وإلىٰ تكفير من خالفه، فضلَّ الجهّال والرّعاع ومن لا علم له، وأطمعوا النّاس في شيءٍ من أمر الدّنيا، وخوّفوهم عقاب الدّنيا، فاتّبعهم الخلق على خوف في دينهم، ورغبة في دنياهم فصارت السّنة وأهل السنة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتّى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الربِّ وآياته، وأحكامه وأمره ونهيه علىٰ عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردُّوه، فصار الإسلام غريباً، والسنة غريبة، وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم»(١).

لقد اهتمَّ علماء الأمة بأمر التفرّق، وتناولوا حديث الافتراق بشيءٍ من التوضيح والبيان، ومن أفضل من تحدث عنه الإمام الشاطبي ـ يرحمه الله ـ في كتابه الفذّ [الاعتصام]، فقد فصّل في مدلولات هذا الحديث العظيم.

وأفرده بالتأليف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، باسم: «الافتراق علىٰ اثنين وسبعين فرقة». كذلك العلامة شرف الدين أبي الثناء محمود بن عمر بن عبدالله البلخي! بمصنف باسم: «شرح وبيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة»، وهو مخطوط وعندي صورة له، وكذلك الإسفراييني في التبصير، والبغدادي في الفَرْق بين الفِرَق، والسّكسكي في البرهان، واليافعي في ذكر مذاهب الفرق، والقنوجي البخاري في خبيئة الأكوان،

---

(١) كتاب شرح السنة للبربهاري ٤٠، ٤١، وكأنَّ البربهاري يشير إلى فتنة القول بخلق القرآن، كما رفع لواء ذلك المبتدعة في ذلك الزمان نسأل الله العافية والسلامة وقد أشار محقق كتاب السنة إلى ذلك.

ولكن هؤلاء تكلفوا في تعداد الفرق لتبلغ العدد الوارد في الحديث ويلاحظ عليهم بعض المؤاخـذات والملاحظات الأخـرى ليس هذا مكان بيـانها . فليُتنبّه لذلك . وقـد تعرَّض لهذا الحديث غير من ذكـرنا ، كشيخ الإِسلام ، والطّرطوشي وابن بدران وغيرهم .

وقد وقفت علىٰ رسالةٍ مختصـرة لطيفة في شـرح وتوجيـه الحديث لِعَلَمٍ من علمـاء الأمة ، هـو محمد بن إسماعيـل الأمير الّصنعانـي ، فلما طالعت مخطوطتهـا حظيت بإعجابي ، نظراً لاختصارها وشمـولها ، ولأنها من تصنيف العالم الأمير المشهود له بـالعلم والتحقيق ، وهي هذه الرسالة التي أُقدِّم لها .

وهي عبارة عن جوابٍ لسؤال عُرِضَ عليه من قِبَل العلاَّمة إبراهيم بن أحمد العثماني ، عن افتراق الأمة ، فـأجاب بأسلوب لطيف ، وبيان مفيد ، ووجَّه الحديث توجيهات قيمة على اختصار جوابه .

ولمّا رأيتُ ما في هذه الرّسـالةِ من الفوائد استعنت بالله على تحقيقها ونشـرهـا طمعـاً في الأجـر ، ورغبـة فـي إفـادة طلبـة العلم ، مع الاعتـراف بالتّقصيرِ وقلَّة البضاعةِ .

❑ ترجمة موجزة للمصنّف:

* اسمـــــه : محمـد بن إسماعيل بن صـلاح بن محمـد بن علي الأمير الصنعاني ويرجع نسبه إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ .

* مولـــــده: وُلد بمدينة كُحْلان، وهي مدينة جبلية في الشّرق الشّمالي من حَجة، من بلاد اليمن، وإليها يُنسبُ فيقالُ الكُحْلاني، سنة تسع وتسعين وألف من الهجرة ١٠٩٩هـ، في ١٥ جمادىٰ الآخرة.

* نشأتـــــه: كـان والده من الفُضـلاء الـزّاهدين، الـرَّاغبين في العملِ، وله عرفان تامٌّ، وشعر جيدٌ، كما قال الشّوكاني.

فـانتقل والده إلى صنعـاء واصطحب ابنه معـه، ونشأ بها، وتعهّـده والـده بالتـربية والتعليم، حتى أتمّ حفـظ القرآن الكـريم، ثم جدَّ هـو في طلب العلم الشرعي، ولازم العلماء كثيراً، حتى برع، وأصبح موضع تقدير وإعجاب من أهل العلم، وطار صيته في الآفاق، حتَّى قُصد وأُثني عليه، وأَضْحىٰ من أعلام الدين، وأنصار السنة، وتفوّق في شتَّى الفنون، وصنف في كل فن تقريباً.

* شيوخـــه: من شيوخه:

- العلاّمة صلاح بن حسين الكحلاني.
- العلاّمة زيد بن محمد بن الحسين بن القاسم.
- العلاّمة علي بن محمد العنسي.
- العلاّمة عبدالله بن علي الوزير.
- العلاّمة عبدالله هاشم بن يحيىٰ الشامي، وغيرهم.

* رحلاتـــه:

رحل إلى المدينة، وإلى مكّة حاجًّا أربع مرّات، وبقي، فيها مدّة،

واجتمع بأئمة من علماء الحرمين ومصر، وأخذ الإجازات في علوم متنوّعة.

وقد التقىٰ بعالم المدينة آنذاك عبدالرحمن بن أبي الغيث الخطيب، وبأبي الحسن بن عبدالهادي السّندي.

وكذلك بمحمد بن أحمد الأسدي، وقد تتلمذ على يد سالم بن عبدالله البصري، وعبدالقادر بن علي البدري، وقرأ على عبدالخالق بن الزين المزجاجي الزبيدي، وقرأ هذا على الأمير.

* تلاميـــــذه:

تتلمذ على يد المصنف الكثير. قال الشوكاني: «وقد كثر أتباع ـ الصّنعاني ـ من الخاصّة والعامّة، وعملوا باجتهاده، وتظهّروا بذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث»[1].

* ومن هؤلاء التلاميذ:

ـ أحمد بن محمد قاطن.

ـ عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر بن الناصر، شيخ الشوكاني.

ـ أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

ـ الحسن بن إسحاق المهدي، وأخوه محمد.

ـ الحسين بن عبدالقادر بن النّاصر.

---

(١) البدر الطالع ٢/ ١٣٧.

ـ أبناؤه إبراهيم، وعبدالله، وقاسم.

*** ورعه، وزهده، ومرضه، ووفاته:**

اتّصف المصنف ـ يرحمه الله تعالى ـ بالورع والزّهد، والخوف من الله تعالى، وقد عُرض عليه القضاء فأبىٰ وامتنع.

«حكىٰ بعض أولاده، أنه قرأ وهو يصلّي بالنّاس صلاة الصبح: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾(١). فبكىٰ وغُشِيَ عليه»(٢).

وقد أصيب بمرضٍ مزمنٍ، وعولِجَ منه كثيراً، لكن بدون جدوىٰ، وسرعان ما ساءت حالته، وَوَافاهُ الأجل في يوم الثلاثاء، ثالث شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ١١٨٢هـ.

ودُفن غربي منارة جامع المدرسة بأعلىٰ صنعاء، عن ثلاثٍ وثمانين سنة، ورثاه الكثير من أهل عصره رحمه الله.

*** ذكر ثناء بعض العلماء عليه:**

لقد أثنىٰ عليه جمعٌ من أهل العلم، وشهدوا له بالمعرفة والاجتهاد والإمامة.

قال عنه الشّوكاني: «الإمام الكبير المجتهد المطلق، صاحب التّصانيف»(٣).

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ١. (٢) أبجد العلوم ٣/ ١٩٢.

(٣) البدر الطالع ٢/ ١٧٣.

وقال القنوجي: «الإمام الكبير المحدث الأصولي المتكلم، الشهير قرأ كتب الحديث وبرع فيها، وكان إماماً في الزّهد والورع»[(١)].

وقال الحفظي: «الإمام السيد المجتهد، الشّهير المحدِّث الكبير، محمد بن إسماعيل، مُسند الدّيار، ومجدد الدين في الأقطار، صنَّف أكثر من مائة مؤلّف، وهو لا يُنسب إلى مذهب بل مذهبه الحديث»[(٢)].

*** مؤلفاتـــــــه:**

الإمام الصنعاني من العلماء المكثرين في التّنصيف، وله مصنفات ورسائل بلغت أكثر من مائة مصنَّف في فُنونٍ شتَّىٰ، وله من الرّسائل الصغيرة والتي هي عبارة عن إجاباتٍ لأسئلة عُرضت عليه ما يفوق عدد ما صنّف، ولو جمعت لأصبحت في مجلّدات. وسأذكر بعض مؤلفاته بإيجاز.

١ ـ سبل السّلام شرح بلوغ المرام، طُبع مراراً.

٢ ـ إرشاد النقاّد إلى تيسير الاجتهاد. مطبوع.

٣ ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. مطبوع.

٤ ـ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار في علوم الآثار. مطبوع.

٥ ـ إجابة السائل شرح بغية الآمل. (في أصول الفقه). مطبوع.

٦ ـ جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت. مطبوع.

٧ ـ العدة حاشية على إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام. مطبوع.

---

(١) أبجد العلوم ٣/ ١٩١.

(٢) المرجع السابق نفسه.

٨ ـ منسك الأمير. مطبوع.

٩ ـ رفع الأستار. مطبوع.

١٠ ـ إسبال المطر على قصب السكر نظم نخبة الفكر.

(وعندي مصورتين لمخطوطتين وهي قيد التحقيق).

١١ ـ ثمرات النّظر في علم الأثر. مخطوط(١).

١٢ ـ المسائل المرضية. وهي قيد التحقيق.

١٣ ـ التنوير شرح الجامع الصغير للسيوطي. مخطوط.

١٤ ـ السيف الباتر في يمين الصّابر والشاكر. مخطوط.

وغيرها من المصنّفات المفيدة، وقد جمع غالب أسماء مؤلفات الصنعاني، مع الدّلالة على أماكن وجودها، الأستاذ عبدالله الحبشي، في بحث نشر في مجلة العرب، العددان التاسع والعاشر، من السّنة السّابعة ١٣٩٣هـ. ولم يستوعب كل مؤلفات المصنف ـ يرحمه الله ـ.

☐ اسم المخطوطة ووصفها:

في بداية عام ١٤٠٩هـ تقريباً، كنت في زيارة للمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأثناء مطالعتي لبعض فهارسها، وقع بصري على عنوانٍ لمخطوطة صغيرة، لفتت نظري كثيراً.

وهي: «حديث افتراق الأمّة إلىٰ نيّف وسبعين فرقة». لمؤلفها محمد ابن إسماعيل الأمير، فطلبت تصويرها للفائدة، وأخذت أطالعها فنالت

---

(١) تقدَّمَ به أَحد طلاَّب العلم اليمنيين وهو الأخ/ أَحمد ناشر، وذلك لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود.

إعجابي لِمَا وجدتُ فيها من تحرير دقيق، وبيان جيد لمدلول هذا الحديث العظيم.

فقمت بنسخها ومقابلتها، وانتهيت من ذلك ليلة الأحد ١٤٠٩/١١/٢٩هـ. وأخذت أبحث عن نسخة لهذه المخطوطة في المكتبات في شتَّىٰ البلدان، وسألت من لهم اهتمامات بذلك، خصوصاً في اليمن، ولكن خاب رجائي، فأخذت أُعلّق على هذه النّسخة في أوقاتٍ متقطعة على حسب الوقت المتيسّر لي، وشجّعني بعض الفضلاء ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ على إخراج هذه الرّسالة، فكان ذلك من الدّوافع الّتي جعلتني أزدادُ حرصاً على نشرها.

وهذه المخطوطة ضمن مجموع تحت رقم ٢٥٥٨، وهي نسخة تامّة، تقع في أربع ورقات من الحجم الكبير، الورقة الأولىٰ كتب عليها النّاسخ اسم المخطوطة ــ كما مر ذلك معنا ــ وكتب بعض الحكمِ والأشعارِ، وذكر أنّه نسخها من ورقة بخط المصنف، والأوراق الثلاث لمضمون الرسالة.

وخط ّالناسخ عموماً لا بأس به، على أن هناك بعضَ الكلمات يصعب قراءتها إلاّ بعد جهد جهيد، إضافة إلى أن الناسخ أهمل التنقيط في كثير من الجمل، ووقع في أخطاء إملائيه فقمت بالتعديل دون الإشارة إلى شيءٍ من ذلك في الحاشية.

وتتضمّن الورقة الثّانية ثلاثة وثلاثين سطراً، بمعدل عشرين كلمة في السطر، بالخط الدقيق.

أما الورقة الثالثة: فتتضمن سبعة وثلاثين سطراً.

وأما الورقة الأخيرة فأسطرها ثلاثون، وعدد جملها قليل. وناسخُ هذه المخطوطة هو علي أحمد إسماعيل وقد انتهى من نسخها يوم السبت السادس عشر من صفر ١١٥٠هـ.

ولما أردتُ أن أدفع بالرّسالة إلى المطبعة، التقيت بالدكتور محمد ابن عبدالرحمن الخميِّس وذكرتُ له هذه المخطوطة، وأنّي عازمٌ على طباعتها، فأخبرني بأن لديه مصورة للمخطوطة، وتَوقَّعت أنها كالتي لدي فطلبتها فلم يتردد جزاه الله خيراً.

فأخذتُها وطالعتها، فوجدت أنها الأصل الذي كتبه بخطّ يده العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير، فازدادت قيمتُها لديّ، وحمدت الله على التوفيق بعد طول انتظار، وأخذت في مقابلتها على الأخرى، بل وقمتُ بنسخها، وقابلت ما نسخته قَبْل عليها، واعتمدتُها أصلاً، ورمزت إليها بـ (أ). والثانية رمزت إليها بـ (ب)، وأثبتّ الفروق بينهما. وهذه النسخة (أ) ضمن مصوّرات الجامعة الإسلامية تحت رقم ١٨، ورقم الفيلم ٥٦٠، وقد صوِّرت عن المخطوطة الأصل، المحفوظة في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو (الهند)، وعدد الأوراق أربع. أما الأوراق الثلاث الأُوَل فعدد أسطرها ثلاثون سطراً، بمعدل سبعة عشر كلمة في السطر الواحد، والورقة الرابعة فيها خمسة أسطر فقط. وكُتِبت بخطّ المصنف ـ يرحمه الله ـ، جاء في أعلىٰ الورقة الأولىٰ ما نصّه: «جَوابُ سؤال سألني عنه السيِّد العلامة إبراهيم بن أحمد العثماني ـ عافاه الله ـ

أصل سؤاله هل . . الحديث صحيح أم لا، . . . . بخصوص معناه . . . . ». والمصنف ـ يرحمه الله ـ لم يضع عنواناً لهذه الرسالة، وفي نسخة «ب» قام النّاسخُ بتسمية الرّسالة : «حديث افتراق الأمّة إلىٰ نيِّفٍ وسبعين فرقة»[1]. وقد اعتمدت هذه التسمية لهذه الرسالة .

*** عملي في الرسالة :**

ـ قمت بنسخ المصورتين كلٌّ على حدة .

ـ قمت بالمقابلة بينهما .

ـ أثبت الفروق بينهما بعد ذلك .

ـ قمت بتبييض ما نسخته .

ـ عزوت الآيات إلى مواضعها .

ـ خرّجت الأحاديث، وبينت درجتها من الصّحة أو الضّعف وفق قواعد وأصول علم المصطلح، واستشهدت بأقوال الأئمة في هذا الشأن .

ـ وضعت بعض التعليقات الضّرورية على بعض النصوص .

ـ صنعت فهرساً للآيات وآخر للأحاديث، وفهرساً للمراجع، وفهرساً عامًّا .

هذا ما قمتُ بعمله وهو جهد المقل، فما وافق فيه الصَّواب فمن

---

(١) انظر : صفحة ٩٦، ٩٧ .

المولىٰ ــ جلَّ وعلا ـ، ومـا ندّ من خطأ فمن قصـور من حّققه، وأسأل الله مغفـرة الـزّلل، وستر العيـوب، وحقٌّ علىٰ كلِّ أخٍ مـؤمن يُحِبُّ لأخيـه مـا يُحبّه لنفسه ـ أن يُقدّم نصيحته في السّرّ بالتي هي أحسن، للتي هي أقوم، مع دعائي له بالمغفرة والثبات، وحسن الختام.

وآخـر دعوانـا أنِ الحمد لله رب العـالمين، و الصلاة والسـلام على خاتم النبيين، وآله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتـــبه:

أبو أكثم سعد بن عبد الله بن سعد السعدان القُضاعي

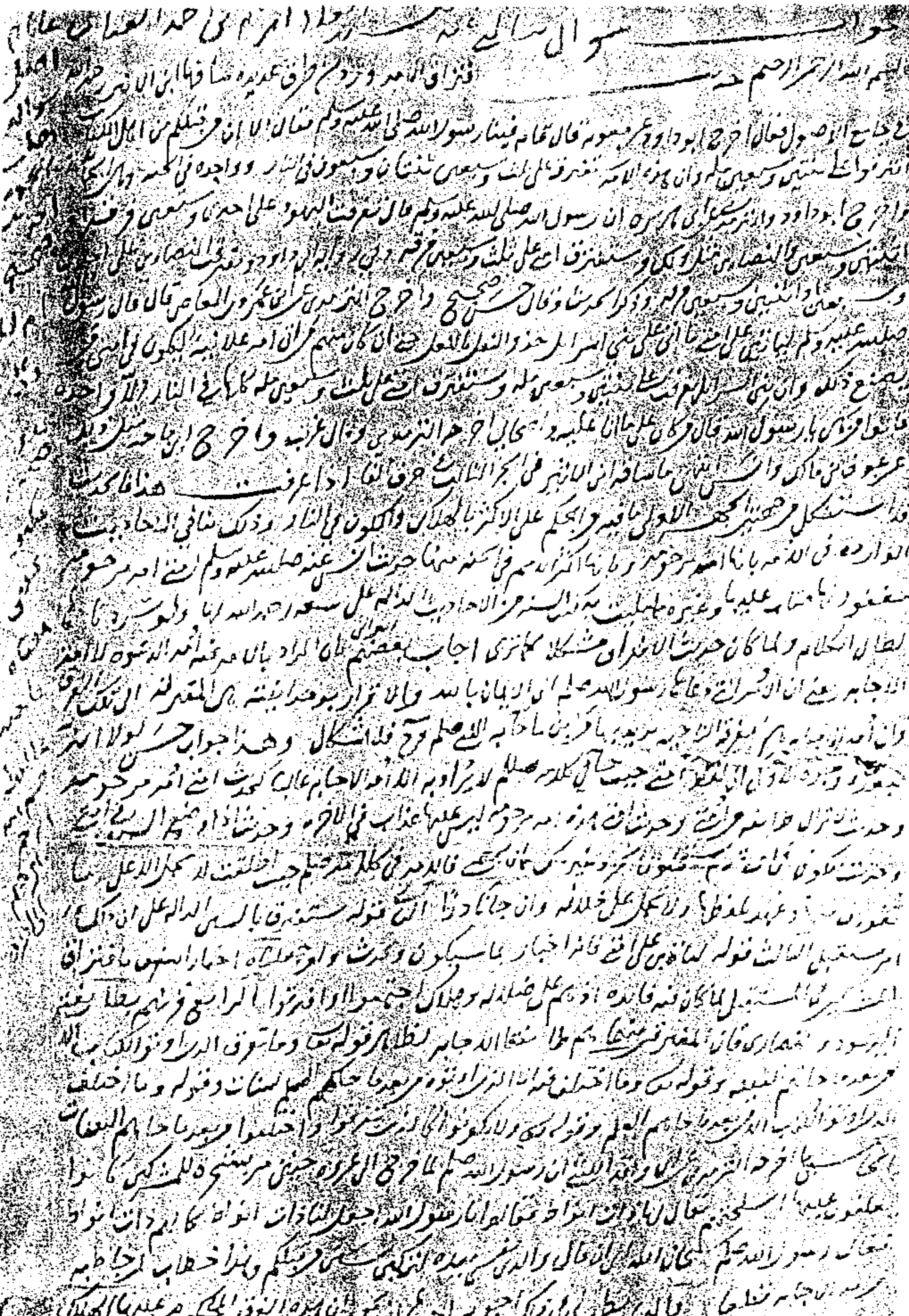
يوم الثلاثاء ١٠/ ٦/ ١٤١٤هـ بعد صلاة العصر

غفر الله له ولوالديه ولعامّة المسلمين.

ص. ب ٨٦٦٦٢

الريـاض ١١٦٣٢

❑ ❑ ❑


[illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]
في جامع الأصول فقال أخرج أبو داود عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة
وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة [illegible]
[illegible] وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة [illegible]
[illegible] وقال حسن صحيح وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي
من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة
قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي وقال غريب وأخرج ابن ماجه مثل ذلك
عن عوف بن مالك وأنس [illegible] هذا ما كتبنا
[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة « أ »



الصفحة الأخيرة من نسخة « أ »

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ومنه الإعانة حديث افتراق الأمم قد ورد من طرق عديدة ساقها ابن
الأثير رحمه الله في جامع الأصول فقال أخرج أبو داود عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلعم فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وأخرج
أبو داود والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل
ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة **وفي رواية** أبي داود وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين
فرقة وذكر الحديث وقال حسن صحيح وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلعم ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو
النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ليكون في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي
على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي وقال غريب
وأخرج ابن ماجه مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس انتهى ما ساقه ابن الأثير في الجزء الثالث في حرف الفاء إذا عرفت هذا
فالحديث قد استشكل من حيثين **الجهة الأولى** ما فيه من الحكم على هذه الأمة بالهلاك والكون في النار وتكريرها في الأحاديث الواردة في
هذه الأمة بأنها أمة مرحومة وبأنها أكثر الأمم في الجنة منها **حديث** أنس عنه صلعم أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها وغير ذلك مما ثبت
في كتب السنة من الأحاديث الدالة على ما سمعت رحمه الله لها ولو سردناها لطال الكلام **ولما كان** حديث الافتراق مشكلا
كما ترى أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة فيه أمة الدعوة لا أمة الإجابة يعني أن الأمم التي دعاها رسول الله صلعم إلى الإيمان بالله
ولم تجب إلا واحدة ... إلى تلك الفرق وأن أمة الإجابة هي الفرقة الناجية بإيمانها بما جاء به النبي صلعم وحينئذ فلا
إشكال وهذا جواب حسن إلا أنه يبعده وجوه **الأول** أن لفظ أمتي حيث جاء في كلامه صلعم لا يراد به إلا أمة الإجابة كحديث أمتي
أمة مرحومة وحديث لا تزال طائفة من أمتي وحديث أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة وحديث إذا وضع السيف
في أمتي وحديث يكون من أمتي قوم يستحلون الخز وغير ذلك مما لا يحصى كثرة وكلام النبي صلعم حيث أطلقت لا يحمل إلا على ما
يعرف عرفها ويعمل بلفظها ولا يحمل على ما خالفه وإن جاء نادرا **الثاني** قوله ستفترق أمتي بالسين الدالة على أن ذلك أمر مستقبل
الثالث قوله كلها في النار إلا ملة فإنه إخبار عما سيكون ويحدث ولو حملناه على أمة الدعوة لكان إخبارا بتفرق المشركين في المستقبل مما كان فيها
قائمة إذ هم على ضلالة وهلاك اجتمعوا أو افترقوا **الرابع** قرنهم بطائفتي اليهود والنصارى عن التفرق بعد أن جاءهم ... كما في
قوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة **وقوله تعالى** وما اختلف فيه إلا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات **وقوله تعالى** وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم **وقوله تعالى**
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات **الخامس** ما أخرجه الترمذي عن أبي واقد الليثي أن رسول الله
صلعم لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلعم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم وهذه
خطاب للمخاطبين من أمة الإجابة قطعا **والذي يظهر لي** في دفع الإشكال وجهان **أحدهما** أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم
عليها بالهلاك قليلة العدد لا تكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية فلا يتم أكثرية الهلاك فلا يرد الإشكال ويقال
يمنع عن هذا أن ... الظاهر من ذكره في عدد فرق الهلاك وأن الظاهر أنهم أكثر عددا قلت ليس ذكر العدد في الحديث
لبيان كثرة الهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وتشعبها ووحدة طريق الحق نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير
في قوله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أنه جمع السبل المنهي عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها
وتعددها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده **وثانيهما** أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار
حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها كأنه قيل كلها باعتبار ظاهر أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها
في النار ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة نبيها وشفاعة صالحيها لأفراد الفرقة
الهالكة بمطالع النجوم

الصفحة الأولى من نسخة «ب»

فيها لا النفيه والفقيهات وفيها صغير [illegible] انه كلما قام المعروف ونهيا عن المنكر [illegible] واستعملها

فيها مفسوات دليلان لا يحدث على ذلك اعوانا وكان الناس [illegible] العادلين وصاح معا [illegible]

[illegible] الزمان واهل [illegible] كثرة [illegible] وقال [illegible] واحاديث [illegible] بانهم [illegible]

والباطنية وذكر الزمان [illegible] الاشعرية والمعتزلة [illegible] التراع من [illegible] في الحديث

وهم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] قوليا من اى فرقة كان [illegible] وذكر في [illegible]

انهم [illegible] وذكر انهم اهل البيت [illegible] السلام [illegible] ومن [illegible]

مبني على ان [illegible] لا اشكال لا اعني [illegible] وهذا كله

[illegible] الاحاديث مبني على [illegible] كلها هالكة لا فرقة [illegible]

[illegible] في كتب السنة كاملة وكن [illegible] الى [illegible]

[illegible] السلام [illegible] محمد بن ابراهيم الوزير [illegible]

وبعض [illegible] ابي محمد بن حزم رحمه الله

مالنظر قال الحافظ ابو محمد بن حزم

الزيادة [illegible] الا فرقة

[illegible]

[illegible] الاخبار [illegible]

[illegible] فرقة

[illegible] زيادة على

[illegible]

[illegible]

نقل الثقات

ومن زاد على نقل الثقات

في الحديث المشهور كان [illegible] المحدثين

مخلا [illegible] وان كان الراوي ثقة

[illegible] الثقات فيما شاركوه في حديثه [illegible]

[illegible] او ادرج في الحديث كلاما لبعض الرواة [illegible] من كلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وان لم [illegible] ان اهل الحديث [illegible]

[illegible] ليس مما اتفقوا على صحته [illegible] ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع

شرائطها [illegible] هذا [illegible] القاصر [illegible] الكليل [illegible] واتفق [illegible]

[illegible] على احمد [illegible]

والوالديه [illegible] العلي العظيم

[illegible] الناسخ [illegible] الخطيب [illegible] سنة [illegible]

وغفر له [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

حديث افتراق الأمة
إلى
نيف وسبعين فرقة

للإمام المحدث

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني

تحقيق وتخريج

سعد بن عبد الله بن سعد السعدان

قدم له

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث[1] افتراق الأمّة [2] ورد من طرق عديدة، ساقها ابن الأثير[3] ـ يرحمه الله ـ، في جامع الأصول[4] ، فقال: أخرج أبو داود عن معاوية،

---

(١) في ب: «الحمد لله ومنه الإعانة، حديث . . .».

(٢) في ب: «حديث افتراق الأمة قد . . . .».

(٣) القاضي المحدث اللغوي الأصولي، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الكاتب ابن الأثير، مؤلف جامع الأصول، وغريب الحديث وغيرهما، روىٰ الكتب نازلاً فأسند صحيح البخاري وصحيح مسلم، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وهو من بيت علم، فأخوه عز الدين ابن الأثير مؤلف كتاب الكامل في التاريخ، والآخر وهو الوزير ضياء الدين ابن الأثير هو مؤلف كتاب المثل السائر.

وقد أصيب أبو السعادات فعرض له فالج في أطرافه، ولزم داره وأخذ العلماء والسلاطين يزورونه ليستفيدوا من علمه الجم، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة، بجزيرة ابن عمر، وتوفي سنة ست وست مائة بالموصل ـ يرحمه الله ـ.

(٤) يعتبر كتاب: «جامع الأصول» لابن الأثير من الكتب المفيدة جدًّا فقد قام مصنفه بدمج الأحاديث التي وعتها وحوتها الكتب الستة ـ عدا سنن ابن ماجه حيث أبدل به الموطأ ـ، ورتَّبها، وهذَّبها، وشرح الغريب، وبيَّن مُشكل الإعراب، واكتفىٰ بذكر راوي الحديث من صحابي أو تابعي، ولقد افتتح كتابه بمقدمة حافلة أوضح فيها منهجه، ثمَّ ذكر جل قواعد مصطلح الحديث النبوي، وترجم للأئمة الستة، وينبغي لطالب العلم أن يحرص على اقتناء هذا السِّفْرِ الفذ لِعَظِيمِ فائدته، والله المستعان.

قال: قام فينا رسول الله ، ﷺ، فقال: «**ألا إنّ**[(١)] **من قبلكم من أهل الكتاب، افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين ملّة، وإنَّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النّار، وواحدة في الجنّة، وهي الجماعة**»[(٢)].

---

(١) في النسخة المطبوعة من جامع الأصول ورد اللّفظ: «**ألا إنَّ من كان قبلكم**». ٣٢/١٠.
وفي سنن أبي داود ٥/ ٥، ٦، بدون لفظة «كان».

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي ٢٧٥٤، والإمام أحمد في المسند ٤/ ١٠٢، وأبو داود في كتاب السنة ٥/ ٥، والدارمي في كتاب: الجهاد، باب: في افتراق هذه الأمة ١٥٨/٢، وابن أبي عاصم في كتاب السنة، باب: ذكر الأهواء المذمومة ١/ ٧، والمَروزي في كتاب السنة ١٩، ٢٠، والآجري في الشريعة ١٨، والطبراني في الكبير ١٩/ ٣٧٦، والعكبري في الإبانة، باب: ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأمة ١/ ٣٧١، والحاكم في كتاب العلم ١/ ٢١٨، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٠١، والبيهقي في دلائل النبوّة، باب: ما جاء في إخباره بظهور الاختلاف في أمته ٦/ ٥٤١، ٥٤٢، وقوّام السنة الأصبهاني في الحجة بيان المحجة ١/ ٢٥٣، والعطار الهمذاني في جزء: «فتيا وجوابها» ٥٧، ٥٨، كلهم من طريق صفوان بن عمرو، قال: حدثني أزهر بن عبدالله الحَرازيُّ عن أبي عامر الهَوْزَني، عن معاوية، الحديث.

وفي جامع الأصول بعد إيراده لهذه الرواية قال: زاد في رواية: «وإنه سيخرج في أُمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارىٰ الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولا مَفْصِل إلاَّ دخله». أخرجه أبو داود اهـ. ١٠/ ٣٢، وهذه رواية أبي داود وهي مختصرة وفي روايات أخرى فيها زيادة.

قلت: وأزهر بن عبدالله الحرازيُّ اختلفوا فيه، فوثّقه العجلي وابن حبان وقال أبو داود: إني لأبغض أزهر الحرازيَّ.

وقال الذهبي في الميزان: «تابعي ـ حسن الحديث ـ لكنه ناصبي ينال من علي رضي الله عنه».

وقال في المغني: «صدوق، لكنه ناصبي، ينال من علي رضي الله عنه». =

وأخرج أبـو داود، والتّرمـذي، عن أبي هريـرة، أنَّ رسول الله ، ﷺ، قال: «**تفـرّقت اليهـود علىٰ إحدىٰ وسبعين فـرقـة، أو اثنتين وسبعين**[(١)] ، **والنّصارىٰ مثل ذلك. وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[(٢)] .

= وقال ابن حجر: «صدوق، تكلَّموا فيه للنَّصَب».

وأزهر الحرازي وإنْ تكلَّم فيه البعض ببدعة النصب، فهو حسن الحديث. وبالتالي فالحديث إسناده حسن، ويصح بالشواهد.

وهذا الإسناد لهذا الحديث، صححه وحسنه نقاد الحديث وحفاظه.

قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ـ بعد أن أورد بعض طرق حديث الافتراق ومنها هذا الطريق ـ: «وأسانيدها جياد».

وقال الحاكم أيضاً بعد أن ساق بعض الطرق للحـديث: «هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث».

وأقرّه الحافظ الذهبي على ذلك.

وقال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم: «هذا حديث محفوظ...».

وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: وإسناده حسن.

(١) في ب: «وسبعين فرقة».

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٢، وابن ماجه في كتاب الفتن ٣٩٩١، وأبو داود في كتاب السنة ٤٥٩٦، والترمذي في كتـاب الإيمان ٢٦٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ص٣٣، والمـروزي في السنـة رقم ٥٨، وأبـو يعلى في مسنـد ابن مسعـود ٥/ ٣٤٥, ٣٤٦، ٣٦٧، ٤١١، وابن حبـان في (المـوارد) كتـاب الفتن ١٨٣٤، والآجـري في الشريعـة ص١٥، وابن بطـة في الإبـانة ١/ ٣٧٤، والحـاكم في كتـاب الإيمـان ١/ ٤٧، وعبدالقـاهـر البغدادي في الفـرق بين الِفـرَق ص٥، والبيهقي في الكبرىٰ ١٠/ ٢٠٨، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ١٨.

كلهم من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به، وإسناده حسن، لحال محمد بن عمـرو، وهو ابن علقمـة ابن وقّاص اللّيثي، أبـو عبدالله، ويقـال أبو الحسـن المدني روى له الجماعة، غير أن الإمام البخاري روىٰ له مقروناً بغيره، =

وفي روايـة أبي داود: «**وتفـرّقت النّصارىٰ علىٰ إحـدىٰ وسبعين، أو اثنيْن**[1] **وسبعين فرقة**». وذكر الحديث.

وقال: حسن صحيح[2].

وأخرج الترّمذي عن ابن[3] عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله،

= ورویٰ له مسلم في المتابعات.
قال أبو حاتم: صالح الحديث، يكتب حديثه.
وقال ابن عدي: له حديث صالح.
وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرةً: ثقة.
وقال ابن معين: ما زال الناس يتّقون حديثه.
وقال الجوزجاني: ليس بقوي الحديث، ويُشتهى حديثه.
وقال الذهبي: صدوق. اهـ.
وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. اهـ. لذا فمحمد بن عمرو صدوق حسن الحديث والحديث يرتقي للصحة بشواهده الكثيرة.
وقد صححـه جمع من علماء الحديث، فقـد قال الترمـذي: حديث حسن صحيح، كما في سننه.
وقال شيخ الإسلام في الفتاوى: الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد.
وصححه الإمام الشاطبي في الاعتصام. وغيرهم.

(١) في ب «وسبعين فرقة أو اثنتين».

(٢) في النسخة المطبوعة من جامع الأصول ١٠/ ٣٣، بعد ذكره للحديث، قال: «أخرجه الترمذي، وفي رواية أبي داود قال: . . . . إلخ.
وليس في المطبوع قوله: وقال: حسن صحيح.
وقد يتبـادر للذهن أن قـول: وقال: حسن صحيح، من كـلام أبي داود، وليس الأمر كذلك بل هو قول الترمذي في سننه ٢٦٤٢.
قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

(٣) في ب «أبي»، وهو خطأ، والصـواب ما أثبتناه، لأنها من رواية عبـدالله بن عمرو بن العاص، وكما جاءت في نسخة المصنف (أ).

ﷺ: «ليأتين علىٰ أُمّتي مـا أتىٰ علىٰ بني إسـرائيل، حَذْوَ النَّعل بـالنعل، حتَّىٰ إن كان منهم من أتىٰ أمّـه علانيةً، ليكـون في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني اسـرائيل تفـرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملّـة، وستفتـرق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملّـة، كلّها في النّـار، إلاَّ واحدة. قـالوا: من هي يـا رسول الله؟ قال: من كان علىٰ ما أنـا عليه وأصحابي». أخرجه الترمذي، وقال: غريب(١).

---

(١) أخـرجه التـرمـذي في كتـاب الإيمـان ٢٦٤٣، وابن وضّاح في البـدع والنهي عنهـا ص٨٥، والمـروزي في السنة ٥٩، والعقيلي فـي الضعفاء ٢/ ٢٦٢، والآجـري في الشـريعــة ١٥، ١٦، وابن بطـة في الإبــانـة ١/ ٣٦٨، والحـاكـم في المسـتـدرك ١/ ٢١٨، والـلالكائي في شـرح السنة ١/ ٩٩، وعبـدالقاهـر في الفَرْق بين الفِـرَق ٥ـــ٦، وقـوَّام السنـة في كتـاب الحجـة ١/ ١٠٦، وابن الجـوزي في تلبيس إبليس ص٧، كلهم من طريق عبـدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، عن بن يـزيد، عن عبدالله بن عمرو به. .

والحـديث ضعيف بهـذا الإسنـاد لأنَّ مـداره على عبـدالـرحمن بن زيـاد بن أنعم الإفريقي، القـاضي، عداده في أهل مصـر، وولي قضاء أفـريقية، وقـد اختلفوا في توثيقـه.

والجمهور يُجمعون على ضعفه، لروايته المناكير.

قال الذهبي: ضعَّفوه.

وقال ابن حجر: ضعيف في حفظه. . . . وكان رجلاً صالحاً».

لكن الشواهد لهذا الحديث ترفعه لمرتبة الحسن. والله أعلم.

وفي المطبوع من الجـامع، ١٠/ ٣٣، ٣٤، بعد إيـراده لحديث عبـدالله بن عمرو، قال: أخرجه الترمذي. اهـ.

وفي سنن التـرمذي ٢٦٤٣ قال أبـو عيسىٰ: هذا حـديث مفسّر، حسن، غـريب لا نعرفه مثل هذا، إلاَّ من هذا الوجه.

وأخرج ابن ماجة مثل ذلك، عن عوف بن مالك(١)، وأنس(٢).

---

(١) حديث عوف بن مالك، أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ٣٩٩٢، وابن أبي عاصم في السنة، باب فيما أخبر به النبي، ﷺ: «أن أمته ستفترق . . . .». ١/ ٣٢.
والطبراني في الكبير ١٨/ ٧٠، وفي مسند الشاميين ٢/ ١٠٠، ١٠١، وعلّقه الحاكم في كتاب الإيمان ١/ ٤٧ وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٠١، وقوّام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجّة ١/ ١٠٩.
وأخرجه الحافظ المزي عالياً في تهذيب الكمال ١٤/ ١٨٠، ١٨١.
كلهم من طريق عمرو بن عثمان، حدثنا عباد بن يوسف، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله، ﷺ، : **«افترقت اليهودُ علىٰ إحدىٰ وسبعينَ فرقةً، فواحدةٌ في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النّصارىٰ على ثنتين وسبعين فرقةً، فإحدىٰ وسبعونَ في النار، وواحدةٌ في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لتفترقنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً، واحدةٌ في الجنة. وثنتان وسبعُونَ في النّار»**. قيل: يا رسول الله. من هم؟ قال: **«الجماعة»**. ورجاله ثقات، غير عباد بن يوسف الكندي، أبو عثمان الحمصي الكرابيسي. ذكره ابن حبّان في ثقاته.
وقال ابن عدي: «روىٰ أحاديث تفرَّدَ بها». ووثقه ابن ماجه، وابن أبي عاصم.
وقال الذهبي في الكاشف: صدوق يُغْرب.
وقال ابن حجر: مقبول.
وعلى هذا فإسناد الحديث من هذا الطريق حسن لغيره بما سبق من الشواهد ولهذا الحديث طريقان آخران عن عوف بن مالك.

(٢) حديث أنس بن مالك له طرق كثيرة عن أنس.
* فقد ورد من طريق قتادة عنه.
* وورد من طريق سليمان بن طريف عنه.
* وورد من طريق عبدالعزيز بن صهيب عنه.
* ومن طريق زيد بن أسلم عنه.
* وورد من طريق يزيد الرقاشي عنه.

انتهىٰ ما ساقه ابن الأثير، في الجزء الثالث في حرف الفاء .

إذا عرفت هذا ، فالحديث قد استشكل من جهتين :

الجهــة الأولىٰ :

ما فيـه من الحكم على الأكثر بالهـلاك والكون [1] في النّار، وذلك يُنافي الأحـاديث الواردة في الأمة بأنها أمـة مرحومة ، وبأنهـا أكثر الأمم في الجنة .

منها : حديث أنس ، عنه ، ﷺ ، : «**أُمَّتي أمة مرحومة ، مغفور لها ،**

= * ومن طريق «العميري»! عنه .
* ومن طريق سعد بن أبي هلال عنه .
* ومن طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عنه .
* ومن طريق الزبير بن عدي عنه .

وكل طـريق لا يخلو من مقـال!؟ لكنَّ الطرق بمجمـوعها تُبيِّن أن الحـديث يصح ، خصوصاً وأن الشواهد كثيرة بحمد الله لهذا الحديث .

(١) قـال ابن الأثير: «الكـوْنُ مصدر كـان التامـة ، يقالُ : كـان يكون كـوْناً ، أي : وجـد واستقر، يعني : أعوذُ بك من النقص بعد الوجود والثبات» النهاية ٤/ ٢١١ .
ومن المعلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعـة على مقتضىٰ النُّصوص الشرعية ، أن لا يخلـد في النـار أحد من أهـل التوحيـد ، فبعضهم من أهل الكبـائر، والمعـاصي ، يدخلون النار حقيقة ، ويعذَّبُـون فيها ، ومن ثمّ يُخرجُون ولا يخلَّدُون في النار، وذلك إمّا برحمة الله تبارك وتعالى ، أو بشفاعة الشافعين .
قـال شيخ الإسلام : «ومـذهب الصحابـة والتـابعين وأئمة المسلمين ، وسـائر أهل السنة والجماعة ، أنه ، ﷺ، يشفع في أهل الكبـائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد ، بل يخـرج من النار من في قلبه مثقال حبـة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان . . . . » . مجموع الفتاوى ١/ ٣١٨ .

متاب عليها»[1] . وغيره ممّا مُلِيَتْ به كتب السّنة من الأحاديث الدَّالة علىٰ

(١) أخرجه أبو أحمد الحاكم في الكُنىٰ، كما في الكنز ١٢/ ١٥٥، والجامع ٢/ ١٨٥ .
وكتاب الحاكم لم يزل مخطوطاً وقد بحثت عن مخطوطته لأقف على إسناده فلم يتيسّر لي ذلك، غيرأنَّ محقق كتاب الأموال لابن زنجويه د/ شاكر ذيب فياض، ذكر في جريدة المراجع، هذا الكتاب، وقال: إنه ضمن مصوّرات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرىٰ، وقد بحثنا في المركز، والمكتبة العامة ولم نعثر عليه!؟ ونرجو من يعلم عن هذه المخطوطة شيئاً أن يخبرنا .
والحديث أخرجه ابن ماجه بلفظ مختلف، قال: حدثنا جُبارةُ بن المُغلِّس ثنا كثير بن سُليم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله، ﷺ: **«إنَّ هذه الأمةَ مرحومةٌ، عذابُها بأَيْديها، فإذا كان يومُ القيامةِ، دُفِعَ إلى كُلِّ رجُلٍ منَ المسلمينَ رجلٌ من المشركين، فيقالُ هذا فداؤكَ منَ النَّار»** .
وجُبارةُ بن المُغلِّس، هو أبو محمد الكُوفي، الحِمّانيُّ .
قال البخاري: حديثه مضطرب .
وقال ابن حجر: ضعيف .
وكثير بن سُليم الضبيُّ، ضعفه ابن معين، وقال أبو زُرعة: واهي الحديث .
وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، لا يروي عن أنس حديثاً له أصل من رواية غيره .
وأخرجه القضاعي في المسند ٢/ ١٠٠ من طريق أبي بكر بن عياش عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله، ﷺ: **«إنَّ أُمَّتي أمةٌ مرحومةٌ»**. وأبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، قال ابن حجر: ثقة عابد، إلاّ أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح .
وقال الذهبي: «أحد الأعلام، صدوق ثبتٌ في القراءة، لكنه في الحديث يغلط ويهم، وقد أخرج له البخاري، وهو صالح الحديث، لكنه ضعَّفه محمد بن عبدالله بن نمير» .
وفي إسناد الحديث رجال فيهم كلام، وبعض رجال السند لم أقف على تراجمهم .
وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢/ ٥٢٣ قال: حدثنا أحمد بن طاهر، قال: حدثنا جدِّي حرملةُ بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن زياد البصري، قال: حدثنا حُميد =

سعة رحمة الله لها .

ولو سردناها لطال الكلام[1] .

= الطويل ــ وكان جاراً لنا ــ قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ، يقول : **«أمّتي أمّةٌ مرحومةٌ ، مُتابٌ عليها ، تدخلُ قبورها بذُنوبها ، وتخرجُ من قبورها لا ذُنوبَ عليها ، تُمحَّصُ عنها ذُنوبُها باستغفار المؤمنين لها»** .
قال الهيثمي في المجمع ١٠ / ٦٩ «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد بن طاهر بن حرملة ، وهو كذّاب» . والحديث ضعّفه السيوطي كما في الفيض ٢/ ١٨٥ ، وابن الجوزي في العلل ٢/ ٩٢٧ .
وقال النسائي : هذا حديثٌ منكر اهـ كما في العلل . وبالجملة فالحديث بهذا اللفظ ضعيف جدًّا .

(١) من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر ٦١٦٣ ، والإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٢٢١ ، كلاهما من طريق شعبة ، عن أبي اسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبدالله ، قال : كنا مع رسول الله ، ﷺ، في قُبّةٍ نحواً منْ أربعينَ رجلاً ، فقال : **«أترضَوْنَ أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنة»**؟ قال : قلنا : نعم ، فقال : **«أترضون أن تكونُوا ثُلُثَ أهلِ الجنة»**؟ فقلنا : نعم ، فقال : **«والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونُوا نِصْفَ أهل الجنة ، وداكَ أنَّ الجنّةَ لايدخلها إلاَّ نفسٌ مسلمةٌ ، وما أنتُم في أَهْلِ الشِّركِ إلاَّ كالشعرةِ البيضاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأسودَ ، أو كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأحمر»** واللفظ لمسلم . ومن ذلك ـ أيضاً ــ ما أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره ، وفضل من لم يكْتَوِ ٥٣٧٨ ، ومسلم في كتاب : «الإيمان» ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب . من حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «عُرِضَت عليَّ الأمم ، فجعلَ النبيُّ والنبيَّان يمرُّونَ مَعَهم الرَّهْطُ ، والنبيُّ ليسَ معه أحدٌ ، حتّى رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ، قلتُ : ما هذا»؟ أمتي هذه؟ قيل : هذا موسىٰ وقومُه ، قيل : انْظر إلى الأُفُق ، فإذا سوادٌ يملأُ الأُفُقَ ، ثم قيل لي : انظُرها هُنا ، وها هنا في آفاقِ =

ولمّا كـان حديث الافتـراق مشكلاً كمـا ترىٰ، أجـاب بعضهـم: بأن المراد بالأمّة فيْه، أمّة الدّعوةِ لا أُمة الإجابةِ!

يعني أنّ الأُمّة التي دعاها رسول الله، ﷺ، إلى الإيمان بالله، والإقرار بـوحدانيتـه، هي المفتـرقة إلىٰ تلك الفـرق، وأنَّ أُمّة الإجـابـة هي الفرقـة النَّاجية. يُريد بها من آمن بما جاء به النبي، ﷺ، فلا إشكال.

وهذا جوابٌ حسنٌ لولا أنّه يبعده(١) وجوه:

* **الأوّل**: أنّ لفظ أُمّتي حيث جاء في كلامه، ﷺ، لا يراد به إلاّ أُمّة الإجابة غالباً(٢)، كحديث: «**أمتي أمة مرحومة**»(٣).

وحديث: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي**»(٤).

= السَّمـاءِ، فإذا سوادٌ قـد مـلأَ الأُفُقَ، قيل: هـذه أمّتُكَ، ويدخـلُ الجنّةَ من هـؤلاءِ سبعُونَ ألفاً بغيرِ حساب....». الحديث، واللفظ للبخاري. وأخـرج ابن حبان في صحيحـه: «الإحسان» ٦٦٤٧، والبيهقي في الـدلائل ٣/ ٧٦ وغيـرهما بإسنـاد صحيح، من حديث أبي موسى قـال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أراد رحمةَ أُمَّةٍ منْ عِبَادِه، قبضَ نبيَّهـا قَبْلَها، فجعلَهُ لها فـرطاً وسلفاً، وإذا أرادَ هلكةَ أمّـة عذَّبها، ونبيُّها حيٌّ، فأقرَّ عينَهُ بِهَلكَتِهَا حيْنَ كذَّبُوهُ وعَصَوْا أمْرَهُ**».

(١) وما ذكر المصنف هو الصـواب، فالمقصود بالأمة أمة الإجابـة، لا أمّة الدعوة، والله أعلم.

(٢) لفظة «غالباً» ليست في ب.

(٣) سبق تخريجه من حديث أنس ص٥٣، ٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بـالكتاب والسُّنة، باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**». وهم أهل العلم، ٦٨٨١، ومسلم في كتاب =

وحـديث: «**أمتي هــذه أمـة مـرحــومـة، ليس عليهـا عــذابٌ في الآخرة**»(١).

= الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم**». ١٩٢١. من حديث المغيرة بـن شعبة، عن النبي، ﷺ، قال: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي ظاهرين، حتى يَأْتِيَهُم أَمرُ اللهِ وهُم ظاهِرُون**»، وهذا لفظ البخاري.
ولفظ مسلم: «**لن يزال قومٌ من أُمّتي ظاهرين على الناس....**»

* وورد من حديث جابر بن عبدالله، ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقـول: «**لا تـزال طـائفة مـن أمتي، يقاتلـون على الحقِّ، ظـاهـرين إلى يـوم القيـامة**»، أخـرجـه مسلم، في كتاب الإمـارة، بـاب قولـه ﷺ: «لا تزال.....» ١٩٢٣، وغيره.

* وورد من حديث ثـوبان رضي الله عنه، قال: قـال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لايضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**». أخرجه مسلم، في الموضع السابق، ورقمه ١٩٢٠، وغيره.

* وورد من رواية معـاوية ـ رضي الله عنـه ـ، قـال: سمعت النبي، ﷺ، يقول: «**لا يزال من أمّتي أمّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، ما يضرُّهُم من كذَّبهم ولا منْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم علـى ذلك**». أخرجـه البخاري في كتـاب التوحيـد، باب قـول الله تعالى: ﴿**إنما قولُنا لشيء....**﴾ ٧٠٢٢، واللفظ له.
ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لاتزال......**». ١٠٣٧.

* وورد من رواية جابر بن سمرة، رضي الله عنه عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**لن يبرح هذا الـدينُ قائمـاً، يُقاتلُ عليـه عصابـةٌ من المسلمين، حتى تقوم السـاعة**» أخرجه مسلم في كتاب الإمـارة، باب قـوله ﷺ: «**لا تزال.......**». ١٩٢٢. وللحديث روايات أُخر، لذلك عده جمع من أهل العلم من الأحاديث المتواترة

(١) أخـرجـه أبـو داود في كتـاب الفتن والمـلاحم ٤٢٧٨، والإمـام أحمـد في المسنـد ٤/ ٤١٠ ـ ٤١٨، وعبد بن حميد في المنتخب ٥٣٦، والحاكم في المستدرك، في كتاب الفتن والملاحم ٤/ ٤٩١، والقضـاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٠٠، ١٠١، والبيهقي في الآداب ٨٩٧، كلهم من طـريق المسعـودي، عن سعيد بن أبي بُـردةَ، عن أبيه، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمَّتي أمةٌ مرحــومةٌ، ليـــس** =

= **عليها عذاب في الآخرة، عذابُها في الدُّنيا الفتن، والزلازلُ، والقتلُ».**

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، وأقرّه الذهبي.

وقال الحافظ في بذل الماعون: سنده حسن اهـ.

قلت: المسعودي هو عبدالرحمن بن عبـدالله بن عُتبة بن صاحب رسول الله، ﷺ، عبدالله بن مسعود الكـوفي المسعُودي. وثَّقَه أحمد وابن معين، وقـال ابن المديني: ثقة، قد كان يغلط فيما روىٰ عن عاصم بن بَهْدلة، وعن سلَمة.

وقال ابن نُمير: المسعودي ثقة واختُلط بأخَره.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال شعبة: صدوق.

وقال ابن حبان: اختلط حديثه فلم يتميز، فاستحق الترك.

وقال العقيلي: كوفي تغيّر في آخر عمره، في حديثه اضطراب.

وقال ابن حجر: صدوق اختلط قبل موته.

قلـــت: المسعودي ثقة كما تقدم، لكن نظراً لاختـلاطه فقد فصّل العلماء في أمره بما خلاصته أنّ من سمع منه ببغداد فبعد اختـلاطه، ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فقبل الاختلاط، وسماعه صحيح.

والحديث صحيح، فله متـابعات كثيرة، فقد تابع المسعـودي علىٰ روايته خلق كثير منهم: حرملة بن قيس النخعي، كما أخرج ذلك الحـافظ إمام السنة في زمانه نُعيم بن حماد، في كتاب الفتن ٢/ ٦١٤، وأبو يعلىٰ في مسنده ٧٢٤٠. وتابعه ـ أيضاً ـ معاوية إسحاق بىن طلحة، كما أخرج ذلك الإمام أحمد ٤/ ٤٠٨.

وطلحـة بن يحيى، كمـا أخـرج ذلك الإمـام أحمـد ٤/ ٤١٠، وعبـد بن حميـد في المنتخـب ٥٣٧. ومنهم عبدالملـك بن عُميـر، عنـد الطـبراني فـي الأوسـط ١/ ٢٧ـ ٢٨.

ومنهم البخترىٰ بن المختار، عند القضاعي في المسند ٢/ ١٠٠.

ومنهـم عمـر بن عبدالعزيـز، كمـا في مسنـده ١١٧، ١١٨. تخريج الحافظ الباغندي.

=

وكذلك عند القاضي الخولاني، في تاريخ داريّا ص٨٧. ومنهم رباح بن الحارث، عند البخاري في التاريخ الصغير ١/ ٢٨٣. ومنهم عمرو بن قيس، عند القطيعي في جزء الألف دينار رقم ٩٠. ومنهم عروة بن عبدالله بن قُشير، عند الطبراني في الأوسط ٣/ ١٣٥، ولفظه: «أمتي أمة مرحومة، لا عـذابَ عليها في الآخرة، إذا كان يوم القيامة دُفع إلى كُلِّ رجل من المسلمين رجلٌ من اليهود والنّصارى، فيقالُ: يا مسلم، هذا فداؤكَ منَ النَّار»..

قال الطبراني: «لم يـرْوِ هـذا الحديث عن عروة بن عبدالله بن قُشير إلاَّ جعفر بنُ الحارث، ولا عن جعفر بن الحارث، إلاَّ إسماعيلُ تفرَّد به يحيىٰ بن يحيىٰ». اهـ.

وأخرجه في الصغير قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة التِّنيسي، حدثنا زهير بن محمد التميمي، عن سالم أبي النضر، مولىٰ عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعبدالله بن عثمان بن خُثيم، عن أبي بردة، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: «أمّتي أمةٌ مرحومةٌ، جَعلَ الله عذابهَا بأيْديها، فإذا كان يومُ القيامة، دُفع إلى كلِّ رجلٍ من المسلمين رجلٌ من أهل الأديان، فكان فِداءهُ منَ النَّار».

وقال الطبراني: لم يروه عن سالم وابن خُثيم إلاَّ زهير تفرّد به عمرو اهـ، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٩٢٧ من طريق عبدالله بن قشير، عن أبي بكر ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى بلفظ مقارب لرواية الطبراني.

والشطر الأخير من الحديث السابق. أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كَثُر قتلُه، ٢٧٦٧. من طريق طلحةَ بن يَحْيى، عنْ أبي بُردة، عن أبي موسىٰ، قال: قال رسولُ الله، ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ، دفعَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ إلى كُلِّ مُسلمٍ، يهوديًا، أو نصرانيًا، فيقولُ: هذا فكاكُكَ من النار».

وفي الباب عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، ﷺ: «أُمّتي أمةٌ مرحومةٌ قد رُفِعَ عنهم العذاب، إلاَّ عذابهم أنفسهم بأيديهم»..

قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٢٤: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد ابن مسلمة الأموي، وهو ضعيف، ووثّقه ابن حبّان، وقال: يُخطيء، وبقيَّةُ رجاله ثقات». اهـ. =

= وأخرجه أبو يعلىٰ في المسند، مسند ابن مسعود ٦١٧٦، موقوفاً على أبي هريرة، بلفظٍ مقارب وزيادة.

* وفي الباب عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عند الحافظ الإمام نعيم بن حماد، في كتاب الفتن ٢/ ٥٩٣.

قال: حدثنا ابن وهب، عن مسلمة بن علي، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن ابن شهاب، عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمتي أمةٌ مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، عذابها في الدنيا الزلازل والبلاء، فإذا كان يوم القيامة، أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من الكفار من يأجوج ومأجوج، فيقال: هذا فداؤك من النار»**.

فقال رجل: يا رسول الله! فأين القصاص؟ فسكت.

قلت: وفي سنده مسلمة بن علي الخُشني، أبو سعيد الدمشقي، متروك الحديث.

قال البخاري، وأبو زُرعَة: منكر الحديث.

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، لا يُشتغل به، وهو في حدِّ التّرك.

قال الذهبي: شامي واه.

وقال ابن حجر: . متروك.

* وفي الباب عن خالد بن معدان، عند الحافظ نُعيم بن حماد. في كتاب الفتن ٢/ ٦١١، قال: حدثنا بقية، وأبو المغيرة، عن أبي بكر، عن خالد بن معدان عن النبي، ﷺ، قال: **«أمتي لا عذاب عليها في الآخرة، إنما عذابها، الزلازل، والفتن في الدنيا»**.

قلت: بقية هو ابن الوليد، قال أحمد: له مناكير عن الثقات. قال ابن حجر: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء اهـ. وأبو المغيرة هو عبدالقدوس بن الحجاج الخولاني، ثقة. وأبو بكر هو ابن عبدالله بن أبي مريم الغساني الشامي. ضعّفه الإمام أحمد، وقال مرة: ليس بشيء، وضعّفه يحيى بن معين، وقال أبو زُرعة: ضعيفٌ، منكرُ الحديث اهـ.

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث اهـ، وضعّفه الدارقطني والنسائي. =

= وقال ابن حبان: كان رديءُ الحفظ يحدث بالشيء فَيَهِمْ، ويكثر ذلك، حتى استحقَّ الترك. اهـ.

* وفي الباب عن معاذ بن جبل، عند الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن ٢/ ٦١٥.

قال: حدثنا بقية، عن أبي العلاء، عن محمد بن جُحادة، عن يزيد بن حصين، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ، قال: **«أمتي أمةٌ مرحومةٌ، لا عذاب عليها في الآخرة، إنّما عذابها في الدّنيا، فتن وزلازل وبلايا»**. وأبو العلاء هو بُرد بن سنان الشامي الدمشقي، قال أحمد: صالح الحديث. وقال ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس، وكذا قال أبو زُرعة، وقال في موضع آخر: كان صدوقاً في الحديث، وقال أبو حاتم: كان صدوقاً، وكان قدريًّا.

قال ابن حجر: صدوق رُمِيَ بالقدر، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة.

ومحمد بن جُحادة هو محمد بن جُحادة الأَوْدي، ويقال الإياميُّ الكُوفي.

قال الإمام أحمد: محمد بن جحادة من الثقات.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ثقةٌ، صدوقٌ.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال ابن حجر: ثقة. توفي سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة.

ويزيد بن حُصين، هو ابن نمير بن نائل بن لبيد السكوني المتوفى سنة ١٠٣هـ.

قال البخاري: لم يصح حديثه.

وقال ابن عدي: ويزيد بن حصين ـ أيضاً ـ ليس بمعروف، ولا أعرف له من المسند شيئاً اهـ.

هذا وللحديث شواهد أخرى تركتها خشية الطول وقد توسعت في هذا الحديث مع أنه صحيح بحمد الله تعالى وذلك رغبة في الإفادة والاستفادة، نسأل الله القبول.

ملحوظة: ربما أحد من الفُضلاء، نقد ما نقلته من بعض المتابعات التي أخرجها نعيم بن حماد في الفتن، بحجة أن نعيم بن حماد ضعيف! والأمر ليس على إطلاقه، فنعيمٌ إمامٌ من أئمة السنة، وحديثه في مرتبة الحسن، إلاَّ ما انتُقد عليه من الأحاديث، وما انفرد به مما يُنكر! وقد شرعت في جمع أقوال أهل العلم من المحدثين وعلماء الجرح والتعديل فيه أسأل الله السداد والتوفيق والإعانة.

وحديث: «إذا وضع السيف في أُمّتي»[١].

وحديث: «ليكونن من أمّتي قوم يستحلون الخز»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٧٨، ٢٨٤، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: ما يكون من الفتن ٩٣٥٢. وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٥٢. وابن حبان في صحيحه «الإحسان» في كتاب التاريخ ٦٧١٤. والحاكم في المستدرك، في كتاب الفتن ٨٣٩٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه بهذه السياقة، إلخ. وأقرّه الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٦٢٥. كلهم من طريق أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أنَّ رسول الله، ﷺ، قال: «زُوِيت لي الأرضُ حتى رأيتُ مشارقها ومغاربها، وأُعطيتُ الكنزين الأصفر (أو الأحمر) والأبيض، (يعني الذهب والفضة)، وقيل لي: إنَّ مُلكَكَ إلىٰ حيثُ زُويَ لك، وإنّي سألتُ الله ـ عزّ وجل ـ ثلاثاً، أن لا يُسلِّط على أُمّتي جُوعًا فيهلكهم به عامّة، وأنْ لا يلبسهُم شيعاً ويُذيقَ بعضهُم بأسَ بعض، وإنّهُ قيلَ لي: إذا قضيتُ قضاءً فلا مُردَّ لهُ، وإني لنْ أُسلِّطَ علىٰ أُمّتِكَ جوُعاً فيهلكهم فيه، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتَّى يُفني بعضُهم بعضاً، ويَقتُلَ بعْضُهم بعضاً، وإذا وُضِعَ السَّيفُ في أُمّتي فلن يرفعَ عنهم إلى يوم القيامة وإن ممَّا أتخوف على أمتي أئمةً مُضِلِّين، وستعْبُدُ قبائلُ من أُمّتي الأوثانَ، وستلحقُ قبائلُ منْ أُمّتي بالمُشركين، وإنَّ بينَ يَدَي السَّاعةِ دجّالين كذّابين قريباً من ثلاثينَ، كُلُّهم يزعُم أنّهُ نبيٌّ، ولنْ تزالَ طائفةٌ منْ أُمّتي على الحقِّ منصُورينَ، لا يضرُّهُم منْ خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله ـ عزَّ وجَّل ـ». وهذا لفظُ ابن ماجة، وألفاظُ الآخرين متقاربة.

وقد أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهُم ببعض ٢٨٨٩ والترمذي في الفتن ٢٢٦٧، والبغوي ـ في شرح السنة ١٤/ ٢١٥، ٢١٦، من طريق أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، ولفظه مقارب، لكن بدون لفظ: «وإذا وضع السيف في أُمتي».

وأخرجه مسلم مختصراً، في كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة ١٩٢٠.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً، في كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحلُّ الخمر =

= ويسميه بغير اسمه ٥٥٩٠، فقال: وقال هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبدالرحمن ابن يزيد ابن جابر، حدثنا عطية بن قيس الكلابي، حدثنا عبدالرحمن بن غَنْم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر - أوْ أبو مالك - الأشعري، والله ما كذبني، سمع النبي، ﷺ، يقول: «**ليكوننَّ من أُمَّتي أقوامٌ، يستحلُّونَ الحِرَ والحريرَ، والخمرَ والمعازف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنْبِ علمٍ، يروحُ عليهم بسارحةٍ لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولُوا: ارجع إلينا غداً، فيُبَيِّتُهُمُ الله، ويضعُ العلمَ، ويمسخُ آخرينَ قردةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامة**». وهذا الحديث صورته صورة المعلق، لكنه في حقيقته موصول. قال العراقي في ألفيته:

وإن يكن أول الإسناد حذف ... مع صيغة الجزم فتعليقاً عرف

ولو إلى آخره، أما الذي ... لشيخه عزا بـ «قال» فكذى

عنعنة كخبر المعازفِ ... لا تصح لابن حزم المخالف

وأخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الخزّ ٤٠٣٨، قال: حدّثنا عبدالوهاب بن نجدة، حدثنا بشر بن بكر، عن عبدالرحمن بن يزيد ابن جابر إلخ، ولفظه مختصر. وفيه: «..... **يستحلّون الخزَّ والحرير**.....». بالخاء والزاي المعجمتين قال ابن العربي: (هو بالمعجمتين تصحيف). فتح الباري ١٠/ ٥٧. وهي الرواية التي أوردها المصنف في نسخة (أ) وفي ب وردت لفظة (الحِرَ). وهي الرواية الصحيحة. وأخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٨٢، رقم ٣٤١٧، قال: حدثنا موسى بن سهل الجوني البصري، ثنا هشام بن عمّار، به.

ولفظه لفظ البخاري، لكن بدون لفظة «**الحِرَ**». وأخرجه في مسند الشاميين ٥٨٨، عن محمد بن يزيد بن عبدالصمد، عن هشام بن عمّار به. وأخرجه ابن حبان في صحيحه «الإحسان» ١٥/ ١٥٤، عن الحسين بن عبدالله القطان، عن هشام بن عمار به، ولفظه مختصر. وأخرجه الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق ٥/ ١٧، ١٨، بإسناده إلى ابن حبان.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى بإسناده ٣/ ٢٧٢، ١٠/ ٢٢١ وغيرهم.

وقد توسّع ابن حجر في تغليق التعليق ٥/ ١٧ فما بعدها، وفي فتح الباري ١٠/ ٥٣ فما بعد، فمن أراد الوقوف عليه رجع إليه.

والخلاصة أنَّ الحديث صحيح، لا كما زعم الإمام ابن حزم ومن قلّده!؟

وغير ذلك مما لا يُحصىٰ .

فالأمّة في كلامه ، ﷺ[1] حيث أُطلقت لا تُحمل إلاَّ على ما تُعورِفَ منها وعُهد بلفظها ، ولا تُحمل على خلافه ، وإن جاء نادراً[2] .

* **الثاني** : قوله : «ستفترق» بالسّين الدّالة علىٰ أنّ ذلك أمر مستقبل .

* **الثالث** : قوله : **«ليأتينَّ على أمتي»** .

فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ، ولو جعلناه إخبارًا ينتهي بافتراق[3] المشركين في المستقبل ، لما كان فيه فائدة ، إذْ هُم علىٰ ضلالة وهلاك ، اجتمعوا أو افترقوا .

* **الرّابع** : قرنهم بطائفتي اليهود والنّصارىٰ ، فإنَّ المفترقين منهما[4] هم طائفتا[5] الإجابة ، لظاهر قوله ـ تعالى ـ : **﴿ومَا تَفَرَّقَ الَّـذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ منْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُم الْبَيِّنَة﴾**[6] .

---

(١) في ب : «فالأمة في كلام النبي ﷺ» .
(٢) مِثالُ ذلك ما ورد في صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد، ﷺ، إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١٥٣ ، من حديث أبي هريرة، عن رسول الله، ﷺ، أنه قال : **«والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأُمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به، إلاَّ كانَ منْ أصحاب النَّار»** .
(٣) في ب «إخباراً بتفرق» .
(٤) في ب «منهم» .
(٥) في ب : «طائفة» .
(٦) سورة البيّنة، الآية : ٤ .

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فيه إلاَّ الَّذين أُوتُوه من بَعْدِ ما جاءَتهُم البيِّنات﴾[1].

وقوله[2] : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّـذينَ أُوتُوا الْكتاب إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَـا جاءَهُـمُ الْعِلْم﴾[3].

وقولـه ـ تعـالىٰ ـ: ﴿ولاَ تكُونـوا كَالَّـذِينَ تَفرَّقُـوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْـدِ مَا جَاءَهُمُ البيِّنات﴾[4].

* **الخامس**: ما أخـرجه التـرمذي، عن أبي واقـد اللَّيثي، أنَّ رسول الله، ﷺ، لمّا خـرج إلى غزوة حُنين، مرّ بشجـرةٍ للمشركين كانـوا يُعلِّقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فقالوا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنـواط. فقال رسول الله، ﷺ: «**سبحان الله**»! إلى أن

= قـال القرطبـي في تفسيرِه ١٠/ ٧٢٣٣: قـولـه ـ تعـالى ـ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّـذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ﴾، أي: منَ اليهود والنّصارىٰ، خصَّ أهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وإن كـانوا مجمـوعين مع الكافرين، لأنهم مظنـون بهم فإذا تفرَّقُـوا كان غيـرهم مِمَّن لا كتاب له أدخل في هذا الوصف: ﴿إلاَّ من بعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبيِّنَةُ﴾. أي: أتتهم البيِّنة الواضحة، والمعْني به محمد، ﷺ، أي: بالقـرآن موافقاً لما في أيديهم من الكتاب بنعتهِ وصِفتِـه، وذلك أنهم كانـوا مجتمعين علىٰ نبوّتِه، فلمـا بُعِثَ جَحَدُوا نبـوَّتَه، وتفرَّقُوا، فمنهم من كفر بغياً وحسداً، ومنهم من آمنَ. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَفرَّقُوا إلاَّ مِنْ بعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بغياً بينَهُم﴾ . . . . . إلخ اهـ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) في ب: «وقوله تعالى».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

قال: «والّذي نفسي بيده لتركبنّ سننَ من قبلكم»[1].

وهذا خطابٌ لمن خاطبه[2] من أمّة الإجابة قطعاً.

والذي يظهر لي في ذلك أجوبة:

* **أحدُهـــا**: أنّه يجوز أنّ هذه الفرق المحكـوم عليها بالهلاك قليلة

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند ١٣٤٦، وعبدالرزّاق في المصنف ٢٠٧٦٣، والحميدي في المسند ٢/ ٣٧٥، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٢١٨، والترمذي في كتاب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم ٢١٨١، وابن أبي عاصم في السنة رقم ٧٦، والمروزي في كتاب السنة ص١٦، ١٧، وأبو يعلىٰ في المسند ١٤٤١، والطبراني في الكبير ٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، وغيرهم كلهم من طريق الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، أنَّ رسول الله ﷺ، لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرةٍ للمُشركين يقالُ لها ذاتُ أنواطٍ يُعلِّقُونَ عليها أسْلِحتَهُم، قالوا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال النبي ﷺ: «**سُبحانَ الله، هذا كما قالَ قومُ موسىٰ اجْعل لنا إلٰهاً كما لهُم آلهةٌ، والذي نفسي بيده لتَرْكبُنَّ سُنَّة منْ كانَ قبلكم**». وهذا لفظ الترمذي.

وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح اهـ.

قلت: سنان هو ابن أبي سنان الدِّيلي، ثقةٌ. وأبو واقد هو الحارث بن عوف، كما سمَّاه البخاري وغيره، صحابيٌ شهد بدراً، وشهدَ الفتح، وسكن مكّةَ، وعِداده في أهلِ المدينة، والحديث صحيحٌ، ورجاله ثقات.

قال ابن الأثير في النهاية ٥/ ١٢٨ عند قوله: «اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ»، «هي اسم شجرةٍ بعيْنها كانت للمُشركين ينُوطُونَ بها سلاحَهُم، أي: يُعلِّقُونه بها، ويعكُفونَ حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك، وأنواطٌ جمع نوط، وهي مصدر سُمِّيَ به المنوط». اهـ.

(٢) في ب: «خطابه».

العدد، لا يكون مجموعها أكثر من الفرقة النّاجية، فلا يتمّ أكثرية الهلاك.

فلا يرد الإشكال [و][1] إن قيل: يمنع عن هذا أنّه خلاف الظّاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك، فإنّ[2] الظّاهر أنّهم أكثر عدداً[3].

قلـــتُ[4]: ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين، وإنّما هو لبيان اتِّساع طرق الضّلال وشعَبِها، ووحدة طريق الحقّ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾[5].

---

(١) الواو ليست في المخطوطتين، ووضعتها لتستقيم العبارة أكثر!

(٢) في ب: «وإن».

(٣) في ب: «أكثر قدراً».

(٤) في ب: «قلنا».

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.
وبداية هذه الآية: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ**.....﴾.
قال القرطبي في تفسيره ٤/ ٢٥٧٣: «هذه آية عظيمة عطفها علىٰ ما تقدم، فإنَّه لما نهىٰ وأمر حذَّر هنا عن اتباع غير سبيلهِ، فأمرَ فيها باتّباع طريقه»، ثم قال: «والصراط: الطريق، الذي هو دين الإسلام «مستقيماً»، نصب على الحال، ومعناه: مستوياً قويًّا لا اعوجاجَ فيه، فأمرَ باتّباع طريقه الذي طرفه علىٰ لسان نبيّه محمد، ﷺ وشرعه، ونهايتُه الجنة، وتشعّبت منه طرق، فمن سلكَ الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النّار، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِه**﴾. أي: تميل». اهـ.
إلى آخر ما ذكر ـ يرحمه الله ـ، وقد أطال الحديث في هذا الموضع، واستشهد بعدد من الأدلة من السنة تبين ضرورة لزوم الطريق المستقيم، والحذر والبعد من اتباع طرق الغواية والضلالة والبدع، وأورد أقوال السلف، ومن أراد المزيد من الفائدة فليرجع إليه. =

أنّه جمع السُّبل المنهي عن اتّباعها [1] لبيان شُعب [2] طُرق الضلاّل وكثرتها وسعتها، وأفرد سبيل الهُدىٰ والحقّ لوحدته وعدم تعدّده.

* **وثانيهـا**: أنّ الحكم علىٰ تلك الفرق بالهـلاك والكون في النّار، حكم عليها باعتبـار ظاهر أعمالهـا، وتفريطها كأنه قيل: كلهـا هالكة [3] باعتبار ظاهر أعمالها، محكوم عليها بالهلاك وكونها في النّار [4].

= وعن عبدالله بن مسعـود ـ رضي الله عنـه ـ قال: خطَّ لنا رسول الله، ﷺ، خطّاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثمَّ خطَّ خُطوطـاً عن يمينهِ وعن شمالـه، وقال: «**هذه سُبُلٌ على كُلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿**وأنَّ هَذَا صِرَاطي مُسْتقيما فاتَّبِعُوهُ**﴾.
أخرجه الطيالسي في المسند ٢٤٤، والإمـام أحمد ١/ ٤٣٥ ـ ٤٦٥، والدارمي في سننه ١/ ٦٧، ٦٨، وابن أبي عاصم في السنـة ١٧، وابن وضّاح في البدع والنهي عنها، ص٣١، والمروزي في السنة ١١، وأبـو نُعيم في الحلية ٦/ ٢٦٣ وفي تاريخ أصبهان ٢/ ٦٦، والطبري في تفسيره ٨/ ٦٥، وابن حبان في صحيحه: «الإحسان» رقم ٦، ٧، والآجُريّ في الشريعة ١٠، ١١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنـة ١/ ٨٠، ٨١، والبغوي في شـرح السنة ١/ ١٩٦، وابن الجـوزي في تلبيس إبليس ٦، ٧، وأبـو شامـة في البـاعث على إنكـار البدع والحـوادث ٥٦، ٥٧.
وغيرهـم، وإسناده حسن، وللحديث طرق، وشواهد ترقيه إلى الصّحة.
قال ابن عطيّـة: «وهذه السبل تعمُّ اليهوديّـة، والنَّصرانية، والمجُوسيَّـة، وسائر أهل الملل، وأهل البدع والضَّلالات من أهل الأهـواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمُّق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلهـا عرضة للزّلل، ومظنة لِسُوءِ المعتقد». اهـ تفسير القرطبي ٤/ ٢٥٧٤.

(١) في ب واو زائدة «ولبيان....».
(٢) في ب: «تشعب».
(٣) قوله «هالكة»، ليست في ب.
(٤) في أ «كونه».

ولا يُنافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر، من رحمة الله لها، وشفاعة نبيّها، وشفاعة صالحيها لطالحيها(٤٥).

---

(٤٥) الشّفاعة في اللّغة: الوساطة.

وفي النهاية: «هي السؤال في التّجاوز عن الذّنوب. والجرائم». اهـ. وهي طلب الخير للغير.

وتنقسم إلى نوعين:

الأوّل: شفاعة منفيّة، وهي: التي تطلب من غير الله ـ تعالى ـ، فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، وهي الشفاعة في حقِّ الكُفّار، والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فَمَا تَنفَعُهم شَفَاعَةُ الشَّافِعِين**﴾.

والثاني: شفاعة مثبتة، وهي: التي تطلب من المولىٰ جَّل وعلا ولا تكون إلاَّ لأهل التوحيد.

وهي مقيّدة بأمرين:

الأمر الأول: إذنُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ للشافع أن يَشْفع قال ـ تعالى ـ: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإذنِهِ**﴾.

الأمر الثاني: رضا الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عن المشفُوع لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضَىٰ**﴾.

والشفاعة المثبتة أنواع: أعظمُها الشفاعة العُظمىٰ، وهي خاصةٌ بالنبيِّ، ﷺ، وعامةٌ لجميع النّاس، وهي: المقام المحمود الذي وعد الله به رسوله، ﷺ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّك مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾.

وفائدتها: تخليص النّاس من هذا الموقف، وذلك أنَّ الناس إذا ضاق بهم الموقف وطال وقوفهم للقضاء والحساب وألْجَمهم العَرق الْتَمسُوا الشّفاعة في أن يَفْصِل الله بيْنَهم، كما ورد في الصحيحين في حديث الشفاعة الطّويل، عندما يأتُون إلى آدم، ثمَّ نُوحٍ، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يقولون نفسي نفسي، إلى أن ينتهوا إلى رسول الهدى، عليه الصلاة والسلام، فيقولُ: أنا لها، ثمَّ أخبر أنه يأتي فيسجد تحت العرش، ويحمد ربه بمحامِدِ يُعلّمه إيّاها، ولا يبدأ بالشفاعة أوّلاً، =

= حتى يُقال له: ارفع رأسك، وقُل يُسمع، وسل تُعْطَ، واشفع تُشفَّع، وقد جاء في الحديث أنه لا يشفع في جميع العُصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة، بل قال: «فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة». ثمَّ يرجع فيسجد كذلك فيحد له حدًّا، إلى آخر ما جاء في هذا الحديث العظيم.

النوع الثاني: من أنواع الشفاعة المثبتة: الشفاعة في استفتاح باب الجنة، فأوّل ما يستفتح باب الجنة بنبيِّنا محمد، ﷺ، وأول من يدخلها من الأُمم أُمّته، نسأل الله منْ فضلِه هذه المنزلة.

والنوع الثالث: الشفاعة في أقوام أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

النوع الخامس: شفاعته، ﷺ، في أقوامٍ تساوت حسناتهم وسيِّئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلُوا الجنة.

النوع السادس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، كما ورد في حديث عكاشة بن مُحصن في الصحيحين

النوع السابع: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفّار، وهذه خاصّة لنبيّنا، ﷺ، في عمِّه أبي طالب، وقد قال القُرطبي: فإنْ قِيلَ: فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾. قيل له: لا تنفعه في الخروج من النّار، كما تنفع عُصاة الموحدين الذين يُخرَجُون منها ويُدْخلُونَ الجنة» اهـ. التذكرة ١/ ٢٤٩.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أُمّتِه مِمَّن يدخلُون النار، فيخرجون منها.

وهذا النوع الذي طال فيه الخلاف، بين أهل السنة، والخوارج والمعتزلة من جهة أُخرى، فأهل السنة أصحاب الحق يقولون: بأنَّ بعض أهل التوحيد من أهل الكبائر والعصاة، يدخلون النار، ويعذَّبُون فيها، ثم يُخرجون إمّا برحمة الله، أو بشفاعة الشافعين، قال، ﷺ، في حديث أنس: «**شفاعتي لأهلِ الكبائر من أُمّتي**». أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح.

قال الإمام حافظ الحكمي: «فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ ودرج على الإيمان بذلك التّابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، =

والفرقة[1] الناجية، وإن كانت مفتقرة إلىٰ رحمة الله، لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنّجاة لإتيانها بما أمرت به، وانتهائها عمّا نُهيت عنه.

= وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا: بخلُود من دخل النار منْ عُصاةِ الموحِّدين الذين يشهدون أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﷺ، ويقيمون الصَّلاة، ويُؤتون الزَّكاة، ويصومونَ رمضان، ويحجُّون البيت الحرام، ويسألُون الله الجنة، ويستعيذُون به من النار، في كلِّ صلاة ودعاء، غير أنهم ماتُوا مُصرِّين على معصية عملية عالمين بتحريمها، معتقدين مؤمنينَ بما جاءَ فيه الوعيد الشديد، فقضوا بتخليدهم في جهنَّم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله ــ عزَّ وجل ــ: ﴿أمْ نَجعلُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرضِ أمْ نجعلُ المتقين كالفجَّار﴾، وقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿أمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أن نجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَاتِ سواءً محيَاهُم وَمَمَاتُهم سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.
وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أفنَجْعلُ الْمُسلِمِين كالْمُجْرِمِينَ ماَ لكُم كيفَ تَحْكُمُوَن أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾. وغيرها من الآيات، وسائر الأحاديث الواردة.....». اهـ. ٢/ ٨٩٦.
والدليل على ما ذكر الصّنعاني بقوله: «ولا يُنافي ذلك كونُها مرحومة باعتبارٍ آخر من رحمة الله لها، وشفاعة نبيِّها، وشفاعة صالِحيها لطالحيها».
ماأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١٨٣ في الحديث الطويل، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، قال: فيقول الله ـ عز وجل ـ : شَفَعَتِ الملائِكةُ، وشفعَ النبيُّون، وشفع المؤمنون، ولم يبْق إلاَّ أرحمُ الرَّاحمين، فيقبضُ قبضةً من النَّار فيخرجُ منها قوماً لم يعمَلُوا خيراً قطّ......». الحديث.
وقد أطلت في هذا الموضع نظراً للحاجة إليه، وللحافظ ابن كثير كلام نفيس في نهاية البداية في أمر الشفاعة ٢/ ١٦٩ إلى ٢١٣، والإمام ابن أبي العز فصّل في المسألة في شرحه للعقيدة الطحاوية ١/ ٢٨٢ إلى ٣٠٢، ولفضيلة الشيخ مقبل الوادعي رسالة مستقلة بعنوان الشفاعة، وهي مفيدة.

(١) في ب: «إذاً الفرقة.....».

* **وثالثهـا** : أنّ ذلك الحكم مشروطٌ بعدم عقابها في الدُّنيا، وقد دلَّ علىٰ عقابها في الدُّنيا.

حديث: «**أمتي هذه أمة مرحومة، ليسَ عليها عذابٌ في الآخرة، إنما عذابها في الدُّنيا، الفتنُ، والزلازلُ، والقتلُ، والبلايا**».

أخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسىٰ[1].

فيكون حديث الافتراق مقيداً بهذا الحديث، في قوله: «**كلها هالكة**» ما لم تُعاقب في الدُّنيا. لكنّها تُعاقب في الدُّنيا[2] فليست بهالكة.

* **ورابعهـا** : أنَّ الإشكال في حديث الافتراق إنَّما نشأَ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة.

بمعنىٰ أنَّ الافتراقَ في الأمة، وهلاك من يهلك منها دائم مستمرٌ، من زمنِ تكلّمه[3]، ﷺ، بهذه الجملة إلى قيام الساعة.

وبذلك تتحقق أكثرية الهالكين وأقلِّية الناجين فيتمّ الإشكال.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه بتوسع ص ٥٧ لكن قول المصنِّف: «أخرجه... والبيهقي في شعب الإيمان....» لم أجد في الشعب هذا الحديث على حدِّ ما بذلت من جهد!؟ لكن الذي عثرت عليه، أنَّ الإمام السُّيوطي في الجامع الصغير ٢/ ١٨٥ عزاه للبيهقي في شعب الإيمان. والبيهقي أخرج حديث أبي موسى في الآداب رقم ٨٩٧ كما مرَّ ذلك.

(٢) في ب: «.... تعاقب فيها فليست».

(٣) في ب: «من زمن تكلم النبي، ﷺ».

والحقّ أن القضيّة حينية، يعني أنَّ ثبوتَ الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك، ثابت في حينٍ من الأحيان، وزمن من الأزمان.

يدُّل على أنَّ المرادَ ذلكَ وجوه:

* **الأوَّل**: قولـه: «ستفترق»،(١) الـدّال(٢) علىٰ الاستقبـال لتحليـة المضارع بالسِّين.

* **الثَّاني**: قوله(٣): «**ليأتينّ علىٰ أُمّتي**» فإنه إخبارٌ بأمرٍ مستقبل.

* **الثّالث**: قوله(٤): «**ما أَنا عليـه وَأَصحابي**»(٥) فإنَّ أصحـابـه من

---

(١) في ب: «ستفترق أمتي».

(٢) في ب: «الدالة».

(٣) في ب: «قوله ﷺ».

(٤) في ب: «قوله، ﷺ».

(٥) الصحابـي مشتقٌّ من الصُّحبة، قـال في المصباح المنيـر: «صحبته فأنا صـاحب، والجمع صَحْب، وصحابه».
وتعريف الصحابي عند المحققين من المحدثين هو من لقي النبي، ﷺ، مؤمناً به، ومات علىٰ ذلك، وهذا ما ذهب إليه العراقي، وابن حجر، وهو التعريف الصحيح.
والصحابـة طبقات، فهناك السابقـون إلى الإسلام الذين طالت صُحْبَتُهم للـرسول، ﷺ، وهناك المهاجرة، وهناك من رآه في حجـة الوداع، إلى غير ذلك، وقد جعلهم ابن سعد خمس طبقـات، والمشهور ما ذهب إليه الحاكم فقـد جعلهم اثنتي عشرة طبقـة انظـر: معـرفة علـوم الحـديث ص٢٢، ٢٤. وتـدريب الـراوي ص٤٠٧، واختصار علوم الحديث لابن كثير ١٧٤ فما بعد.
تنبيه مهم: شاع بين طلبـة العلم أن كتاب ابن كثيـر اسمه: «البـاعث الحثيث شرح اختصـار علوم الحـديث، وهـذه التسمية على حـد مـا بحثت ليست من وضع ابن كثير، إنما الذي أظنه أن أحمـد شاكر ـ يرحـمه الله ـ اعتنى بكتاب ابن كثير، وقام =

مسمّىٰ أمته بلا خلاف .

وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة ، وأنّهمُ النّاجون ، وأنَّ من كان علىٰ ما هم عليه ، هم النّاجُون .

فلو جعلنا القضية دائمة من حين التّكلّم بها ، للزم أن تكونَ تلك الفرق كائنة في أصحابه ، ﷺ ، وهلمَّ جرا .

وقد صرّح الحديث نفسه(١) بخلاف ذلك ، فإذا ظهر لك أنَّ الحكم بالافتراق والهلاك إنّما هو في حينٍ من الأحيان وزمنٍ من الأزمانِ ، لم يلزم أكثريّة الهلاك ، وأقليّة النّاجين ، وهذا الجوابُ بحمدِ الله والّذي قبله جيده! لا غبار عليها(٢) .

= بوضع تعليقات وحواشي ، وطُبع الكتاب باسم الباعث . . . . » .
وقد ذكر بروكلمان في ذيل : «تاريخ الأدب» ٢ / ٤٩! كتاب الباعث الحثيث على معرفة علوم الحديث ، ونسبه لابن كثير وأشار لوجود مخطوطتين في الهند ، واحدة في آصاف . والثانية في رامبور؟! ولم أر منْ ذكر ذلك غيره ، والذي أكّد الأمر عندي ، أنّ العلامة أحمد شاكر نفسه ، ذكر في طبعة من طبعات الكتاب وهي طبعة مؤسسة الكتب الثقافية . قال ـ يرحمه الله ـ : «ثم رأيت أن أصل كتاب ابن كثير عرف باسم : (اختصار علوم الحديث) ، وأنَّ الأخ العلاّمة الشيخ عبدالرزاق حمزة جعل له عنواناً آخر في طبعته الأولى بمكة (فسماه : اختصار علوم الحديث ، أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث . . . . ثم اشتهر الكتاب بين أهل العلم باسم (الباعث الحثيث) ، وليس هذا اسم كتاب ابن كثير ، . . . » إلخ .

(١) لفظة : «نفسه» ليست في ب .

(٢) في ب : «وهذا الجواب جيد ـ بحمد الله ـ لا غبار عليه» . قلت : ولو قيل : «جيّدان» لكان أفضل .

إن قلت: يجوز أن يكونَ زمن الافتراق أطول من زمن خلافه.

فيكون أهله أكثر، فيكون الهالكون أكثر من النّاجين.

قلــت: أحاديث سعة الرّحمة، وأكثريّة الداّخلين من هذه الأمّة إلىٰ الجنّة، قد دلّت علىٰ أنَّ الهالكين أقلّ.

وذلك لِقِصَـر حينهم المتفرّع عليـه قلّتهم بـالنّسبة إلى أزمنـة خلافـه المتطاولة[1].

وكلام رسول الله[2]، ﷺ، لا يأتيـه التنّـاقض من بين يـديـه ولا من خلفه، فلابدّ[3] من الجمع بين مـا يُـوهم التّناقضَ، وقـد تمّ الجمع بهـذا الوجه وما قبله فتعيّن المصير إليها.

هذا ولا يَبعُد أنَّ ذلك الحين والزّمـان هو آخر الدّهر[4] الذي وردت الأحاديث بفساده، وفشوّ الباطل فيه، وخفاء الحقّ، وأنَّ القابض فيه على دينه كالقابض علىٰ الجمرة.

وأنّه الزّمـانُ الّذي يُصبحُ فيه الرَّجُـل مؤمناً ويمسي كافـراً، وأنّه زمان غربة الدِّين.

---

(١) في ب «المتطاولين».

(٢) في ب: «وكلام الرسول، ﷺ».

(٣) في ب: «ولابد».

(٤) حصر التفرّق والاختلاف في آخر الزَّمان، لا يُسلَّم به، ولو قُلنا بذلك لحكمنا بالتالي للخوارج، والرافضة، والقدرية والمعتزلة، والجهميّة، وأهل البدع، والأهواء، وسائر فرق وطوائف الضلال بالنّجاة والسلامة.

فتلك الأحاديث الواردة فيه، الّتي شُحِنت بهـا كتب السنّة قرائن دالّة علىٰ أنّه زمان كثرة الهالكين، وزمان(١) التفرّق والتدابر(٢).

---

(١) في ب «زمن».

(٢) من هذه الأحاديث، ما أخرجه البخـاري في كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس ٦٦٧٥، ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال ١٨٤٧، ــ واللفظ للبخاري ـ عن حـذيفة قال: حدثنـا رسول الله، ﷺ، حديثين، رأيتُ أحـدَهما وأنا أنتظرُ الآخـر، حدَّثنا: «**أنَّ الأمانةَ نزلت في جذر قلوب الرِّجال، ثمَّ علِمُـوا منَ القُرآنِ، ثمَّ علِموُا منَ السُّنَّة**»، وحدّثنا عن رفعها قال: «**ينام الـرجلُ النَّومة فتقبضُ الأمانَـةُ مِنْ قلبه، فيظلُّ أثرُها مِثلَ الـوَكْت، ثمَّ ينامُ النَّومة فتُقبضُ فيبْقىٰ فيها أثرُها مثلَ أثَر المجْل، كجمْرٍ دحرجتَهُ على رجْلكَ فنفط، فتراهُ مُنتَبِراً وليـسَ فيه شيءٌ، ويُصبحُ النّاسُ يتبايعُـونَ، فلا يكاد أحدٌ يُـؤدِّي الأمانةَ، فيقـالُ: إنَّ في بني فُلانٍ رجُـلاً أميناً، ويقـالُ للـرَّجُل: ما أَعْقَلـه، وما أظْـرفَه، ومـا أجْلَده، وما في قلبه مثقالُ حبَّةِ خردلٍ مِنْ إيمانٍ**».

* وما أخرج التـرمذي في الفتن ٧٣، من حديث أنس بن مالك، قـال: قال رسول الله، ﷺ: «**يأتي على الناس زمـانٌ، الصّابرُ فيـه على دينهِ كالقـابضِ على الجمر**». والحديث حسن بشواهده.

* وما أخرجه أبو داود في الفتن ٤٢٥٩ ـ ٤٢٦٢، والترمذي في الفتن ٢٢٠٥، وابن ماجـه في الفتن ٣٩٦١، من حـديث أبي موسى الأشعـري، قال: قـال رسول الله، ﷺ: «**إن بينَ السـاعة فِتنـاً كقطع اللّيلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ فيهـا مؤمنـاً ويُمسي كـافـراً، ويُمسي مؤمنـاً ويُصبحُ كـافـراً، القـاعـدُ فيها خيـرٌ من القـائم.....**». الحديث، وهو صحيح.

* ومـا أخرجـه ابن مـاجه في الفتن، بـاب التثبت في الفتنـة ٣٩٥٧ وغيره بإسنـاد صحيح، من حديث عبدالله بن عمـرو أنَّ رسول الله، ﷺ، قال: «**كيف بكم وبزمان يُوشكُ أن يأتي، يُغـربَلُ الناسُ فيـه غربلـةً، وتبقىٰ حُثـالةٌ من النّـاس، وقد مـرجَت عُهودُهم، وأماناتُهم فاختلفُوا.....**». الحديث. =

[ويحتمل ــ أيضاً ــ أن الافتراق كـان من بعد القُـرونِ المشهود لهـا بالخيرية. وأن في كل قرن بعدها فرق من الهالكة، وأكثرها في آخر الزّمان.

وهذا جوابٌ جيد استقلَّ عن الإشكال][(١)].

الجهة الثّانية:

من جِهَتي الإشكـال في تعيين الفـرقـة النّـاجية، فقـد تكلَّم النّـاسُ فيها.

= * وما أخـرج مسلم في كتاب الإيمـان، باب بيـان أنَّ الإسلام بـدأ غريبـاً، وسيعُودُ غريباً، وأنَّه يأرَزُ بيْنَ المسجدين ١٤٥، وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قـال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلامُ غـريباً، وسيعودُ ـ كمـا بدأ ـ غريبـاً، فطوبىٰ للغرباء**».

* وما أخرج ابن ماجه في كتاب الفتن، بـاب شدة الزَّمان ٤٠٣٦ والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩١، وغيرهما بسند حسن، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي على النَّاس سنـواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصـدَّقُ فيها الكاذبُ، ويكـذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤتمنُ فيها الخائن، ويخـوّنُ فيها الأمين، وينطقُ فيها الرُّويبضةُ**»! قيل: وما الرُّويبضةُ؟ فقال: «**الرَّجلُ التافه يتكلَّمُ في أمر العامّة**».

وما أخرج ابن ماجه، في كتاب الفتن، بـاب شدة الزَّمان ٤٠٣٧، والامام أحمد في المسند ٢/ ٥٣٠، وغيرهما بسند صحيح، من حديـث أبي هريرة، قال: قال رسول الله، ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدُّنيا حتىَّ يمُرَّ الرَّجلُ على القبر، فيتمرَّغ عليه، ويقول: ياليتني كنتُ مكانَ صاحب هذا القبر، وليس به الدِّيْنُ إلاَّ البلاء**».

ومن ذلك حديث حذيفة المشهور في الدعـاة الذين على أبواب جهنم وهو حديث متفق عليه. وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هـذا الشأن، ولو سقناها لطال بنا الكلام وقد ذكرنا بعض الأمثلة استشهاداً لما أشار إليه المصنّف.

(١) ما بين الحاصرتين ليس في نسخة ب.

كل فرقة [١] تزعم أنّها هي الفرقة النَّاجية. ثمّ قد تُقيم بعض الفرق علىٰ دعواها، برهاناً أوْهىٰ من بيت العنكبوت[٢].

ومنهم: من يشتغلُ بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه[٣]، ويَعمد إلى ما شذّت [٤] به تلك [٥] من الأقوال، فينقله عنها ليبيّن بذلك[٦] أنها هالكة، لاعتمادها على تلك الأقوال، وأنه ناج بخلوصه عنها.

ولو فُتّش ما انطوىٰ عليه، لَوُجِـدَ عنده من المقالات مَا هُو أشنعُ من مَقالاتِ من خالفه[٧].

---

(١) في ب: «فكل طائفة».

(٢) في ب: «بعض الطوائف برهاناً على مدعاة أوهى من بيت العنكبوت».

(٣) الذين كتبوا وصنَّفوا في الفرق، عمد أكثرهم إلىٰ محاولة تقسيم الفرق وتعدادها، بل والتكلّف في حصر الفرق لتصل إلى العدد الوارد في حديث الافتراق، وهذا الصنيع لا يمكن أن يضبطه ضابط! ففي كل عصر تنشأ فرق لم تكن معروفة من قبل مختلفة ومتعددة المشارب، إذن من صنّف في تعداد الفرق سيجد صعوبة وعقبات إذا عَلِمَ أنّه خرجت بعض الفرق في مكان آخر!؟ والتفرق ما زال يتشعّب ويتعدّد من زمن إلى آخر، ولو كانت الأمة ستنتهي إذا كُتِبَ مُصَنَّفٌ فيها بتعداد فرقها لِتتوافق مع الحديث لَما عِيبَ ذلك، ولكن هذا أمرٌ لا يمكن أن يقوله عاقل، فَعُلِمَ من ذلك أنَّ هذا المسلك فيه ما فيه من التكلف والتعسف، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمة.

(٤) في ب: «ويعمد إلى ماشُرِّب».

(٥) «تلك» ليست في ب.

(٦) في ب: «ليبيِّن قوله».

(٧) هذا كلامٌ جيد من المصنِّف ـ يرحمه الله ـ، ولقد ادَّعت بعض الفِرَق والطوائف الضالة أنها هي الفرقة الناجية، بل وتزيد في الضّلال باتِّهامها لأهل السنة بأنهم من الفِرق الهالكة والمنحرفة فالله المستعان.

لكن عين المرء كليلة عن عيب نفسه.

وبالجملة:

فكلٌّ يدَّعي وَصْلاً لليلىٰ　　وليلىٰ لا تقرُّ لهم بذاكا

وكان الأحسنُ بالنّاظرِ في الحديثِ أن يكتفي بالتّفسير النّبوي لتلك الفرقة.

فقد كفاه، ﷺ، معلّم الشّرائع الهادي إلىٰ كلِّ خير، ﷺ، المُؤْنة، وعيّن له الفرقة النّاجية، بأنّها: من كان على ما هوَ، ﷺ، وأصحابه، وقد عرف ـ بحمد الله ـ من له أدنىٰ همة في الدّين ما كان عليه النبي، ﷺ، وأصحابه.

ونُقل إلينا أقوالهم وأفعالهم، حتّى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم[1]، حتّى كأنّا رأيناهم رأي عين.

وبعد ذلك فَمَن رزقه الله إنصافاً من نفسه، وجعله من أولي الألباب لا يخفاه[2] حال نفسه أوّلاً.

هل هو متّبع لما كان عليه النبي، ﷺ، وأصحابه أو غير متّبع؟

ثم لا يخفىٰ[3] حال غيره من كلّ طائفة، هل هي متّبعة أو مبتدعة؟

---

(١) في ب: «نومهم ويقظتهم وأكلهم وشربهم».

(٢) في ب: «لأعناه».

(٣) في ب: «لأعناه».

ومن ادّعىٰ أنّـه متّبع للسنّة النّبـويّـة متقيّد بهـا يُصدّق دعـواه أقوالـه وأفعاله أو تكذبها، فإنّ ما كان عليه، ﷺ، قد ظهر [بحمد الله] [1] لكلّ إنسان، فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع[2].

وعندي على تقرير ذلـك الجواب، وأن زمنَ الافتراق [والهلاك][3] هوآخر الزّمان[4]، [و][5] أنه لا بُعـد في أنَّ الفـرقة النَّاجيـة هم الغُـرباء، المشار إليهم في الحديث. كحديث: «**بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً، فَطُوبىٰ**[6] **للغرباء**». قيل: ومن هم يا رسـول الله؟ قال: «**الّذين يُصلحون إذا فسد النّاسُ**».

وفي رواية: «**الَّذينَ يفرّون بدينهم من الفتن**».

وفي رواية: «**الّذين يُصلحون ما أفسد النّاس من سنّتي**».

وفي حديث عبدالله بن عمـرو: قلنا: مَن الغرباء يـا رسول الله؟ قال:

---

(١) ليست في ب.

(٢) في ب: «المتبع بالمبتدع».

(٣) ليست في ب.

(٤) سبق وأنْ نبَّهنـا في موضعٍ سـابق، أنَّ حصـر التَّفرق في آخـر الزمـان ليس بصحيح! فالتّفـرق بدأ منـذ زمن طويل، والقولُ بـأنَّ التفرق يكون في آخـر الزمـان ذريعة إلى احتجاج الفرق الضالة أنها ناجية!؟ فليُنتبه لذلك جيداً!

(٥) الواو ليست في ب.

(٦) في ب: «وطوبى».

«قومٌ صَالِحُونَ قليلٌ، في نَاسِ سُوءٍ كَثير، من يَعْصِيهِم أكثر ممّن يُطيعهم»(١).

---

(١) حديث: «غربة الإسلام»، من الأحاديث الصحيحة المتواترة. وقد عده من المتواترة الحافظ السيوطي في التدريب ٢/ ١٨٠ والكتّاني في نظم المتناثر. وللحديث طرق كثيرة، وألفاظ متقاربة، وكنت قد جمعت طرق هذا الحديث وأطلت في ذلك، لكن رأيت أن الحواشي ستثقلُ وتطول، فاكتفيت بتخريج الروايات التي ذكرها المصنف. في تفسير الغرباء؟ وهي أربع روايات.

* **التفسير الأول: «الذين يُصْلِحُون إذا فسدَ الناس»**.

ورد في حديث عبدالرحمن بن سنَّة، أنه سمع النبيَّ، ﷺ، يقول: **«بدأ الإسلامُ غريباً، ثمَّ يعودُ غريباً كما بدأ، فطُوبىٰ للغُرباء»**. قيل: يا رسولَ الله، ومن الغُرباء؟ قال: **«الذينَ يُصْلِحُونَ إذا فسد الناسُ، والذي نفسي بيدِه ليَنْحازنَّ الإيمانُ إلى المدينةِ كما يجوزُ السَّيْلُ، والّذي نفسي بيده ليأْرزنَّ الإسلامُ إلى ما بينَ المسْجدينِ، كما تأْرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها»**. أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في الزوائد ٤/ ٧٣، ٧٤. وابن عدي في الكامل ٤/ ١٦١٥، وابن وضّاح في البدع والنهي عنها، بابٌ في نقض عُرىٰ الإسلام ص٦٥، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٨٣، كلهم من طريق إسماعيل بن عياش، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن يوسف بن سليمان، عن جدته ميمونة، عن عبدالرحمن ابن سنة، به.

وأخرجه نُعيم بن حماد في الفتن ٢/ ٤٩١، ٤٩٢، من الطريق نفسه، ولكن بلفظ **«والذي نفسي بيده...»** ولفظه طويل مختلف عن الرواية السابقة، وليس فيه الشطر الأول: **«بدأ الإسلام......»**.

وإسماعيل بن عياش هو ابن سليم، العنبسي، أبو عتبة الحمصي إذا حدّث عن الشاميين فحديثه عنهم جيد، وإذا حدّث عن غيرهم فحديثه مضطرب. وحديثه هذا عن مدني. وإسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، أبو سليمان المدني، متروك، نهى الإمام أحمد عن حديثه، كما في بحر الدم، وقال الجوزجاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تحلّ الرِّواية عندي عن إسحاق بن أبي فروة. اهـ. وقال ابن حجر: متروك. =

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٨ بعد إيراده لهذا الحديث: «رواة عبدالله، والطبراني، وفيه إسحاق بن عبدالله ابن أبي فروة، وهو متروك».

وهناك علةٌ ثالثةٌ لهذا الحديث وهي أنّ يوسف بن سليمان وجدته ميمونة مجهولان!؟ وأشار إلى نحو هذا الهيثمي في مجمع الزوائد.

* وورد من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي، ﷺ، قال: «**الإسلامُ بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ للغُرباء**»؟ قالوا: يا رسول الله: وما الغرباء؟ قال: «**الَّذين يُصْلحون عند فساد الناس**». أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٢٩، واللاَّلكائي في شرح الاعتقاد ١/ ١١٢، من طريق بكر بن سُليم، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، به. وبكر بن سُليمان هو أبو سُليمان الصَّوّاف، الطَّائفي المدني.

قال ابن عدي: «يُحدّث عن أبي حازم عن سهل بن سعد، وعن غيره، ما لايوافقه أحدٌ عليه».

قال ابن عدي: «وعامّة ما يرويه غير محفوظ، ولا يتابع عليه، وهو من جملة الضُّعفاء الذين يكتب حديثهم».

وقال أبو حاتم: «شيخ يُكتب حديثه». وذكره ابن حبان في ثقاته.

وقال الذهبي في الكاشف: صدوق.

وقال في المغني: وهو ضعيف.

وقال ابن حجر: مقبول.

* وورد الحديث من رواية سهل بن سعد الساعدي. عن النبي، ﷺ، قال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**» فقالوا: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**». أخرجه الدولابي في الكُنىٰ ١/ ١٩٣، والطبراني في الكبير ٦/ ٢٠٢، وفي الصغير ١/ ١٠٤. وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٩، والقضاعي في الشهاب ٢/ ١٣٩. من طريق بكر بن سليم الصواف، عن أبي حازم، عن سهل، به.

والكلام في هذا الطريق كالذي قبله.

وقد تابع بكر بن سليم على روايته أبو صخر حميد بن زياد، كما في جزء أحاديث نافع ابن أبي نُعيم للحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم المقريء رقم ٢٠ بلفظ: =

= «إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ».

وأبو صخر حميد الخراط، قال عنه الإمام أحمد: ليس به بأس، ووثقه الدارقطني وقال ابن حجر صدوق.

* وورد من رواية جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء»**. قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: **«الذين يصلحون حين يفسد الناس»**. أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١١٢. والبيهقي في الزهد الكبير ٢٠٠، وغيرهما. من طريق عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش، عن جابر به.

وعبدالله بن صالح، هو ابن محمد بن مسلم الجهني، كاتب الليث، قال أحمد: كان أوّل أمره متماسكاً، ثم فسد بآخره، وليسَ هو بشيء، وقال عبدالملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون، سمع من جدي حديثه. وقال ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة أما أبو عياش فمجهول الحال، والحديث ضعيف لأجله.

* وورد من رواية عمرو بن عوف، أن رسول الله، ﷺ، قال: **«إنَّ الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جُحرها، وليعقلنَّ الدين من الحجاز معقل الأروية، من رأس الجبل، إنَّ الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبىٰ للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»**. أخرجه يعقوب في المعرفة ١/ ٣٥٠، الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً ٢٦٣٠، والطبراني في الكبير ١٦/١٧، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٠، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٣، وفي الجامع ١/ ١١٢ من طريق إسماعيل بن أبي أوس، عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، به. وإسناده ضعيفٌ جداً لحال كثير بن عبدالله المزني، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١٠.

قال الدارقطني والنسائي: متروك الحديث.

وقال ابن عبدالهادي في بحر الدم: ضرب أحمد على حديثه ولم يروه، وقال: ليس بشيء. =

= وقال يحيى : ضعيف الحديث .
وقال أبو داود : كذاب .
وقال الشافعي : من أركان الكذب .
وقال أبو حاتم : ليس بالمتين .
وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه .
وقال الذهبي : متروك .
* وورد من رواية أبي الدرداء، وأبي أُمامة، وواثلة، وأنس رضي الله عنهم، قالوا: خرج علينا رسول الله، ﷺ، فقال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً، فطوبىٰ للغرباء**». قالوا: يا رسول الله: ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس، ولا يُمارون في دين الله، ولا يُكفِّرون أحداً من أهل التوحيد بذنب**». أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩، والآجري في الغرباء رقم ٥. والخطيب في تاريخه ١٢/ ٤٨١، وغيرهم.
من طريق كثير بن مروان عن عبدالله بن يزيد، عن أبي الدرداء وأبي أُمامة، وواثلة، وأنس، به. ومدار الحديث على كثير بن مروان الشامي.
قال ابن معين : ضعيف .
قال أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به .
وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا .
وقال ابن الجنيد : ليس بالقوي .
وقال ابن حجر : ضعفوه .
* وورد من رواية ابن مسعود، عن النبي، ﷺ، قال: «**إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**». قيل: من هُم يا رسولَ الله؟ قال: «**الذين يصْلحُون إذا فسد الناسُ**». أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ٢٥/ ١ عن محمد بن آدم المصيصي، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي الأحوص، عن عبدالله يعني ابن مسعود مرفوعاً. كما أورد ذلك محدث الشام الألباني ـ حفظه المولى ـ في السلسلة ٣/ ٢٦٧، ٢٦٨ وقال: هذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، غير محمد بن آدم المصيصي وهو ثقة، كما=

= قال النسائي وغيره. اهـ.

قلـــت: والحديث بهذا التفسير، بمجموعه يرتقى لمرتبة الحسن، خصوصاً وأن الشواهد كثيرة.

التفسير الثاني: «الـذين يفرّون بـدينهم من الفتن». لم أعثـر على هذا اللفظ الـذي أورده المصنف علىٰ قـدْرِ ما بحثت، والـذي وجدتُه مـا ورد من حديث عبـدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهمـا ـ، قال: قالَ رسول الله، ﷺ: **«أحبُّ شيءٍ إلى الله الغرباء»** قيل: ومن الغرباء؟ قال: **«الفَرَّارون بدينهم، يبعثهم الله ـ عز وجل ـ إلى يوم القيامة مع عيسى بـن مريم، عليه السلام»**. أخرجه عبدالله بن أحمد في زو ائد الزهـد ١٤٩، ومن طريقـه أخرجه أبـو نعيم في الحلية ١/ ٢٥، والبيهقي في الـزهد الكبير.

من طريـق سفيان بن وكيع، عن عبدالله بـن رجاء، عن ابن جريج عـن أبي مليكة، عن عبدالله بن عمرو، به. وسفيان بن وكيع الجراح، قال عنه ابن حجر: كان صدوقاً إلاّ أنه ابتُلي بورَّاقة، فأدخلَ عليه مـا ليس من حديثه، فنُصح فلم يقبل فسقط حديثه اهـ. وابن جريج، هو عبدالملك بن عبدالعزيز، ثقة، لكنه مدلس ويرسل.

قال الدارقطني: شرّ التدليس، تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلاّ فيما سمعه من مجـروح، مثل إبراهيم بن أبي يحيى، وموسى بن عبيـدة، وغيرهما. اهـ.

والتفسير الثالث: «الذين يصلحون ما أفســد الناس من سنّتي». سبق تخريج ذلك، وقد ورد هذا التفسير للغرباء من حـديث عمرو بن عوف، وفي سنده كثير بن عبدالله المزني وهو متروك.

التفسير الرابع: للغرباء كما أوردالمصنف: «قوم صالحون قليل في ناس سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم» من حديث عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله، ﷺ، ذات يوم ونحن عنده: **«طوبىٰ للغرباء»**، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: **«ناسٌ صالحون قليلٌ في ناسِ سُوءٍ كثيرٍ، منْ يعْصيهم أكثر ممّن يُطيعُهم»**.

أخرجـه الإمام أحمـد في المسند ٢/ ١٧٧ ــ ٢٢٢، والآجُري في الغـرباء ٦/ ٢٥، وعبدالله بن المبارك في الزهد ٧٧٥، والبيهقي في الزهــد ٢٠٥، والفســوي في =

وهم المُرادُون بحديث: «لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرينَ على الحق، لا يضرُّهم من خَالَفهم، أو خَذلهم، حتّى يَأْتي أمرُ الله»(١).

= المعرفة والتاريخ ٢/ ٥١٧. من طريق عبدالله بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن جندب بن عبدالله، أنه سمع سفيان بن عوف القارىء يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص به. وعبدالله بن لهيعة، ضعيف باستثناء ما رواه عنه العبادلة، وهم: «عبدالله ابن المبارك، وعبدالله بن مسلمة القعنبي، وعبدالله بن يزيد المقري، وعبدالله بن وهب».

ومن الذين رووا عن ابن لهيعة، هذه الرواية، ابن المبارك كما مر معنا، وغيره، وجندب بن عبدالله الوالبي، كوفي، وقد وثَّقه العجلي في تاريخه. وذكره الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة، بتوثيق العجلي، وذكره ـ أيضاً ـ الحافظ العراقي في ذيل الكاشف، مثله، ولعلَّ هذه الرّواية تصل لمرتبة الحسن والله تعالى أعلم.

هذا ولهذا الحديث كما قلنا روايات أخرى وشواهد، وقد استوعبها في الغالب الشيخ عبدالله بن يوسف الجديع ـ وفقه الله ـ في رسالته كشف اللثام، وكذا الداعية الشيخ سلمان بن فهد العودة ـ حفظه الله ـ في رسالته الغرباء الأولون، وقد استفدت من الرسالتين كثيراً. والمحدِّث الألباني في السلسلة له بحث لطيف. وللحافظ ابن رجب شرح لطيف لهذا الحديث في رسالة «كشف الكربة في وصف حال الغربة».

وعقد الإمام الجبل العَلَم ابن قيم الجوزية فصلاً فريداً في أمر الغربة، وذلك في كتابه الحافل بالعلم والفوائد الجمة مدارج السالكين ٣/ ١٩٤، ويحسن الرجوع إليه للفائدة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله، ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»** ١٧٠ وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤٢٥٢، وفي لفظه زيادة. والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين ٢٢٢٩، وابن ماجه في مقدمته، باب اتباع سنة رسول الله، ﷺ، ١٠ وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨. وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٨٩.

والبيهقي في الدلائل ٦/ ٥٢٧، ولفظه طويل. وغيرهم، من حديث ثوبان. =

وهم المرادون بما أخـرجه الطّبراني، وغيره عن أبي أُمـامة عن النبي، ﷺ، أنه قـال: «إنَّ لِكُلِّ شيء إقبـالاً وإدبـاراً[١]، وإن لهـذا الدين إقبـالاً وإدباراً، وإنَّ مـن إدبار[٢] الـدين، مـا كُنتم عليه من العمـىٰ والجهالـة، ومابعثني الله به. وإنَّ من إقبال الدين أن تفقَـه القبيلة بأسرها حتَّىٰ لا يوجد فيها إلاَّ الفـاسق والفاسقان، فهمـا مقهوران ذليلان، إن تكلّما قُهِـرا وقُمِعا واضْطُهِدا[٣]. وإنّ من إدبار الدِّين أن تَجْفُوَ القبيلةُ بأَسْرِها حتَّىٰ لايكون[٤] فيها إلاّ الفقيه والفقيهان، وهما مقهوران ذليلان، إن تكلّما فأمرا بالمعروف ونَهيا عن المنكر قُمِعا، وقُهِرا، واضْطُهِدا، فهما مقهوران ذليلانِ لا يجدان علىٰ ذلك أعواناً ولا أنصاراً»[٥].

= والحديث ورد من طريق المغيرة بن شعبة أخرجه الشيخان وغيرهما.

وورد من حديث معاوية، أخرجه الشيخان وغيرهما. وورد من حديث جابر بن عبدالله، أخرجه مسلم وغيره.

ومن حديث سعد بن أبي وقاص، وحديث زيد بن أرقم، وحديث عمران بن حصين، وقرة بن إياس المزني، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وغيرهم.

والحديث متواتر، وقد ذكره السيوطي في قطف الأزهار. والكتاني في نظم المتناثر.

(١) في ب: «لكل شيء إقبالاً وإدباراً». وهو خطأ.

(٢) في ب: «إقبال».

(٣) في ب: «قمعا وقهرا واضطهدا».

(٤) في ب: «لأيرىٰ».

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٤ ـ ٢٥٤، قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب، ثنا داود بن مهران الدباغ، ثنا الْمُشْمَعِلّ بن مِلْحان، عن مُطَرّح بن يزيد، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، ﷺ: «إنَّ **لهذا الدين إقبالاً وإدباراً، ألا وإن من إقبال هذا الدين أن تفقّه القبيلة بأسرها، حتى**=

= **لا يبقى إلاَّ الفاسق والفاسقان، ذليلان فيهـا إن تكلّما قُهرا واضطُهدا، وإنَّ من إدبار هذا الدين، أن تجفو القبيلة بأسرها، فلا يبقىٰ إلاَّ الفقيه والفقيهان، فهما ذليلان، إن تكلَّما قُهـرا واضطُهدا، ويلعنُ آخـر هذه الأمـة أولها، ألا وعليهم حلَّت اللَّعنـة حتى يشربوا الخمـر علانية، حتى تمرَّ المرأةُ بـالقوم فيقوم إليها بعضهم فيرفعُ بـذيلها كما يرفع بذنب النَّعجة، فقائل يقول يـومئذٍ: ألا وارا منها وراء الحائط، فهو يومئذ فيهم مثل أبي بكـر وعمر فيكـم، فمن أمر يـومئـذ بالمعـروف ونهىٰ عن المنكـر فله أجـر خمسين ممّن رآني وآمن بـي وأطـاعني وتـابعني»**. والمُشْمَعِلّ بنُ مِلْحـان، هو أبـو عبدالله الكوفي، الطائيُّ القَيسيُّ نزيلُ بغداد.

ذكره بن حبـان في ثقاته، وقـال أبو زرعة: كـوفي لين، إلى الصدق ماهـو. وضعفه الدارقطني.

وقال ابن معين: ما أرىٰ كان به بأس.

وقال ابن حجر: صدوق يخطيء اهـ. ومطرَّح بن يزيد هو أبو المهلّب الكوفيُّ.

قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو زُرعة: ضعيف الحديث.

وقال أبو حاتم: ليس بقوي، ضعيفُ الحديث.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال الذهبي: مجمع على ضعفه.

وقـال ابن حجر: ضعيف اهـ. وعلي بن يزيـد، هو أبـو عبدالملك بن أبي هـلال الألْهَانيُّ الدمشقي.

قال ابن معين: علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة هي ضعافٌ كلُّها.

وقال يعقوب: واهي الحديث، كثير المنكرات.

وقال أبو زُرعة: ليس بالقوي.

وقـال عبدالـرحمن بن أبي حـاتم: سألت أبي عـن علي بن يزيـد؟ فقـال: ضعيف الحديث، أحاديثه منكرة.

وقال البخاري: منكر الحديث، ضعيف.

وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. =

= وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع: متروك الحديث.

فهذا إسناد ضعيفٌ جداً.

قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٦٢ «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد وهو متروك».

والحديث أخرجه ابن السني، وأبو نُعيم، عن أبي أمامة مرفوعاً، كما ذكر ذلك المتقي في الكنز ١٠/ ١٧٧، ولفظه: «**لكل شيء إقبالٌ وإدبارٌ، وإنَّ من إقبال هذا الدين أن تفقّه القبيلةُ كلُّها بأسرها، حتى لا يوجد فيها إلاَّ الرجلُ المجافي أو الرجلان، وإنَّ من إدبار هذا الدين أن يجفو القبيلة كلُّها بأسْرها، حتى لا يوجد فيها إلاَّ الرجلُ الفقيهُ أو الرجلان، فهمَا مقهوران ذليلانِ لا يجدانِ على ذلك أعواناً ولا أنصاراً**».

وأخرجه أحمد بن منيع، قال: حدثنا يزيد هو ابن هارون، ثنا محمد بن عبيدالله الفزاري، حدثنا عبيدالله بن زَحْر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ. «**إنَّ لكل شيء إقبالاً وإدباراً، وإنَّ لهذا الدين إقبالاً وإدباراً، وإنَّ من إقبال هذا الدين ما بعثني الله به، حتى إن القبيلة لتفقه من عند آخرها، حتى لا يبقى فيها إلاَّ الفاسق والفاسقان، فهما مقهوران، مقموعان، ذليلان، إن تكلّما أو نطقا قُمِعا، وقُهِرا، واضطهدا، ثمّ ذكر من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلها من عند آخرها حتى لا يبقى إلاَّ الفقيه والفقيهان، فهما مقهوران، مقموعان، ذليلان، إن تكلما، أو نطقا قمعا وقُهرا واضطُهِدا، وقيل لهما: أتطغيان علينا، حتى يُشرَب الخمر في ناديَهم، ومجالسهم، وأسواقهم، وتُنحل الخمرُ غير اسمها حتى يلعنَ آخر هذه الأمة أوّلها، ألا وحلّت عليهم اللّعنة، ويقولون: لا بأس بهذا الشراب، يشرب الرجل منهم ما بدا له ثم يكف عنه، حتى تمرّ المرأة فيقوم لها، فيرفع ذيلها فينكحها، وهم ينظُرون، كما يرفع ذيل النعجة ـ ورفع عليه ثوباً من هذه السحولية ـ، فيقول القائل منهم: لو نحيّتموها! عن الطريق، فذاك فيهم كأبي بكر وعمر، فمن أدرك ذاك الزّمان وأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر، فله أجر خمسين ممّن يحبني، وآمن بي وصدقني**».

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، مخطوطة، ٢/ ١٠٠/ ب، للحافظ ابن حجر. باب ظهور الفساد في آخر الزمان، وفضل الأمر بالمعروف في ذلك الوقت. =

= وقال ابن حجر بعدها: هذا حديث ضعيف، فيه أربعة في نسق. اهـ.

قلـــت: الأول: محمد بن عبيد الله الفزاري، وهو محمد بن عبيد الله الفزاري، بن أبي سليمان العرزَمِيُّ الفـزَاريُّ، أبو عبدالرحمن الكُوفي، كـان من العبّاد الصالحين كما قال الذهبي.

قال أحمد: ترك الناس حديثه.

وقال ابن معين: ليس بشيء، لا يكتب حديثه.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الجوزجاني: ساقط.

وقال العجلي: ضعيف.

وقال ابن حجر: متروك.

الثاني: عبيد الله بن زَحْر، وهو الضَّمْريُّ مولاهم الإفريقي.

قال المزي: ولد بأفريقية، ودخل العراق في طلب العلم، وكان رجلاً صالحاً. اهـ.

وضعّفه أحمد وابن معين.

وقال ابن المديني: منكر الحديث.

وقال أبو زُرعة: لا بأس به، صدوق.

وقال أبو حاتم: ليِّن الحديث.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال البخاري: مقارب الحديث.

وقال البخاري: كان رجلاً صالحاً، وفي حديثه ليِّن.

وقال ابن حجر: صدوق يخطيء.

الثالث: علي بن يزيد، فهو الألهاني، سبق الكلام عنه.

الرابع: القاسم، وهو عبدالرحمن الشامي، أبو عبدالرحمن الدمشقي، مولى عبدالرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية الأموي. وثقه ابن معين، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، والترمذي. وزاد العجلي: يُكتب حديثه، وليس بالقوي.

قال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً، أدرك أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار.

قال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم، لا بأس به، وإنما ينكر عنه =

فهذه الأحـاديث وما فـي معناها فـي وصف آخر الـزّمان وأهلـه، قد دلّت علىٰ أنّه زمان كثرة الهالكين، وقلّة النّاجين.

وأحاديث الغرباء قد دلّت أوصافهم بأنّهم هم الفرقة النّاجية في ذلك الزّمان، وليسوا بفرقة مشارٍ إليها كالأشعريّة،(١) [أ]و(٢) المعتزلة(٣) مثلاً.

= الضعفاء. قلت: ولعلَّ كلام أبي حاتم ـ يرحمـه الله ـ هو الزبدة في الأقوال، والله أعلم.
قال ابن حجر: صدوق يُغرب كثيراً.
وقال الذهبي: صـدوق. وقد روى له البخاري في الأدب، والبـاقون، سوى مسلم.
وقد أطال في ذكره الحافظ المزي في تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٨٣.

(١) الأشعرية فرقة تنتسبُ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ رحمه الله ـ، والذي كان تلميذاً لأبي علي الجُبائي، رئيس المعتزلة، ثم خالفه وعارضه، بل وأعلن براءته من مذهب المعتزلة، وذلك لما رأى فيه من الضلالة والفساد!
والأشـاعرة قـومٌ يثبتون لله ــ تعالى ــ الأسماء وسبع صفـات! يسمُّونهـا بالصفـات العقلية، وهي: العلم، القدرة، الإرادة، الحياة، السمع، البصر، الكلام.
وينفـون باقي الصفـات من الصفات الخبـريـة والفعلية، ومـذهبهم باطلٌ مخـالف لمذهب أهل السنة والجماعة.
والإمام أبي الحسن الأشعري ثبت ـ كما نقل الأئمة، كابن كثير، والذهبي وغيرهما ـ أنـه رجع واستقر علـى عقيدة السلف، وممـا يـؤكد ذلك كتـابـه الإبـانة عن أصـول الديانـة، الذي هو آخر مؤلفـاته، ففيه عقيدة السلف، والإمـام الأشعري غير أولئك المعروفين بالأشاعرة الذين اشتغلوا بتأويل الصفات، واستمروا في هذا المسلك، بل واهتموا في كتبهم بـإقامة البـراهين على أنَّ أخص خصائص الألـوهية، هـو الانفراد بالخلـق والاختراع، كابـن فورك والباقـلاني، ومن تبعهما مـن متأخري الأشعـرية، فليتنبه لذلك، والله المستعان.

(٢) ليست في ب.

(٣) المعتزلة، قومٌ خالفوا مذهب أهل السنة والجماعة ومذهبهم يقوم على إثبات =

بل هم «النُّزاع من القبائل»، كما في الحديث[1].

= الأسماء، ونفي الصفات، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزَّال، الذي اعتزل مجلس ـ إمام أهل السنة في عصره ـ الحسن البصري، واعتزل باعتزاله مذهب أهل السنة. وتبعه عمرو بن عبيد، ثم أبو علي العلاّف والنَّظَّام وعبدالجبار الهمداني، وهؤلاء من أشهر رجالاتهم، وقد انقسموا إلى فرق كثيرة، لكن يجمعهم اسم المعتزلة، ولهم أصولٌ خمسةٌ، هي أسس وقواعد عقيدتهم، والمعتزلة مُصابهم أنهم حقيقةً بالغوا في تقديس العقل، بل واعتبروه هو المصدر الأوّل للاعتقاد، ولا يتردَّدون في تأويل ما يرونه من نصوص تعارض حكم العقل، لأنَّ حكم العقل لديهم قطعي الثبوت، وحكم النقل، ظني الثبوت، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

وللتوسع راجع الرسالة القيمة: «المعتزلة وأصولهم الخمسة». للشيخ عواد بن عبدالله المعتق، طبع دار العاصمة بالرياض.

(1) أقول هذه صفة من صفاتهم، كما وردت في الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند ٤٩٧٥، والدارمي في سننه ٢/ ٤٠٢، وابن وضّاح في البدع والنهي عنها ٦٥، وأخرج الحديث البزّار في البحر الزخّار ٥/ ٤٣٣. وابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٤/ ٧٠٩، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٣، والبغوي في شرح السنة ١/ ١١٨، وغيرهم من طريق حفصُ بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: **«إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء»**.

قيل: ومن الغرباء؟ قال: **«النُّزَّاع من القبائل»**.

قلت: ورجاله ثقات، وقد صححه الحافظ البغوي.

وقد أخرجه ـ أيضاً ـ الترمذي كما في العلل الكبير بترتيب أبي طالب القاضي ٢/ ٨٥٤، من الطريق نفسه، وصححه.

قال الترمذي: «سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: لا أعلم أحداً روى هذا الحديث غير حفص بن غياث، وهو حديث حسن».

وهم متبعوا الرسول، ﷺ، اتّباعاً قوليًا وفعليًّا[1]، من أيّ فرقة كانت[2][3].

هذا وقد ذُكر في الفرقة[4] النّاجية أنّهم صالحوا كل فرقة، وذُكر أنّهم

---

(١) في ب: «فعليًّا وقوليًا».

(٢) في ب «كانوا».

(٣) هذا القول للمصنَّف فيه نظر! فالفرقة الناجية الواردة في الحديث واحدة! وقد جاء تحديدها بأوصاف الجماعة، وما كان عليه، ﷺ، وأصحابه، والسواد الأعظم، فهذه الأوصاف هي لفرقة واحدة ناجية، فالفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة هم الصحابة والتابعون لهم، والسلف الصّالح، وأصحاب الحديث رواية ودراية الذين اغتربوا وجمعوا أحاديث رسول الله، ﷺ، وحفظوها وعَلّمُوها الأمة، وهم أهل العلم والفقه في دين الله ـ تعالى ـ، والدُّعاة في سبيله هم الطائفة المنصورة، وهم الغرباء في هذه الأمة إذا كثرت البدع والأهواء والخرافات وفسد الزمان.
قال شيخ الإسلام في الواسطية: «لكن لما أخبر النبي، ﷺ، أنَّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصّديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدُّجىٰ، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**». . . . اهـ.
فالفرقة الناجية إذن واحدة، لكن لها أوصاف متعددة. وهذه قاعدة يغفل عنها الكثير فالله المستعان.

(٤) في ب: «. . . في تفسير الفرقة. . . .».

أهل البيت النّبوي(١) ، سلامُ الله عليهم ، ومن اتّبعهم . إلاّ أنَّ ذلكَ مبنيٌّ علىٰ أنَّ القضيّة دائمة ، ثمّ هو لا يدفع الإشكال كما لا يخفىٰ .

نعم وهذا كلّه توفيق بين الأحاديث ، مبني على صحة قوله : «كلها

---

(١) من المقرر عند أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت النبي ، ﷺ ، فهم يحبونهم ، ويحترمونهم ، ويتولونهم ، ويكرمونهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال العلامة عبدالعزيز الرشيد ـ يرحمه الله ـ في التنبهات السنيّة :

«فاحترامهم ، ومحبتهم والبرّ بهم ، من توقيره واحترامه ، ﷺ ، وامتثالاً لما جاء به الكتاب والسنة من الحث على ذلك . . . . . وقد تكاثرت الأحاديث بالأمر بذلك ، والحث عليه ، قال ابن كثير ـ يرحمه الله ـ بعد كلام : ولا ننكر الوصاية بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم ، وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، وأشرف بيت وجد على وجه الأرض ، فخراً ووحسباً ونسباً ، ولا سيِّما إذا كانوا متبعين للسنة النبويّة الصحيحة الواضحة الجليّة ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وأهل بيته وذويه ، وأهل البيت هم : آل النبي ، ﷺ ، الذين حَرُمت عليهم الصدقة . كما فسّر ذلك راوي الحديث ، وهم : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل العباس ، وبنوا الحارث بن عبدالمطلب ، كما جاء تفسيره في صحيح مسلم ، وكذلك أزواج النبي ، ﷺ ، من أهل بيته كما دل عليه سياق آية الأحزاب ، كما قرر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيّم وغيرهما» . اهـ .

إذن فوجوب محبة آل بيت رسول الله ، ﷺ ، من عقيدة أهل السنة والجماعة ، لكنْ من غير غلوٍ فيهم ، كما هو حال الرافضة ! الذين غلو في حب آل البيت . وادَّعوا زوراً وبُهتاناً أنهم يحبوهم ، فغلوا في ذلك الحب ، وغلوا في علي وأولاده إلى حدِّ التألّه نعوذ بالله من الضلالة بل جعله بعضهم إلٰهاً ، وبعضهم جعله نبياً ، ومن غير تقصير كما هو حال النواصب ، الذين ناصبوا علياً العداء . . . . إلخ ، فأهل السنة بحمد الله وسط بين ذلك .

هالكة إلاَّ فرقة»[1].

ولا شكَّ أنّه قد ثبت في كتب السُّنّة كما سمعته، ولكنّه قد نقل السيد العلاّمة الحافظ عزّ الدِّين[2] محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله[3] عن أبي

---

(١) أقول لم يرد في شيء من طرق حديث الافتراق لفظ: «كلها هالكة إلاَّ فرقة». على حدِّ ما بحثت ووقفت، وإنما اللفظ المشهور هو: «كلها في النار إلاَّ واحدة» لكن ورد في حديث أبي الدرداء، وأبي أُمامة، وواثلة ابن الأسقع، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهم، مرفوعاً ولفظه: «كلهم في الضلالة إلاَّ السواد الأعظم».
أخرج ذلك الطبراني في الكبير ٨/ ١٧٨. وإسناده باطل، قال الهيثمي في المجمع ١/ ١٥٦: «فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدًّ». قلت: ورواه كثير بن مرواه عن عبدالله بن يزيد الدمشقي. وقد قال عنه الإمام أحمد: أحاديثه موضوعة.
قال أبو حاتم: لا أعرفه، وحديثه باطل.
وقال الجوزجاني: أحاديثه مناكير، وليس بثقة. وورد الحديث ـ أيضاً ـ بلفظ: «كلها ضالة، إلا فرقة واحدة». من حديث عمرو بن عوف أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٢٩، عن كثير بن عبدالله بن عمرو ابن عوف بن يزيد، عن أبيه عن جده. وإسناده ضعيف جدًّا، لأن كثيرًا متروك.

(٢) في ب: «عز الإسلام والدين».

(٣) في ب: «قدّس الله سرّه». والوزير هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور ابن الوزير اليماني، العالم، العلامة المجتهد. ولد سنة ٧٧٥ هـ بالقرب من صنعاء، وتلقي العلم من شيوخ بلدته، ثم رحل في طلب العلم إلى صعدة، ومكة المكرمة، والتقى بجمع من أهل العلم. وبرز، وطار صيته في الآفاق، وتفرَّغ للتصنيف، وبرع في ذلك وأجاد، وألَّفَ مؤلفات، من أشهرها العواصم والقواصم في الذّبِّ عن سُنّة أبي القاسم، وله مختصر عليه اسماه الروُض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، وله ـ أيضاً ـ إيثار الحق على الخلق في ردِّ الخلافات على المذهب الحق، وغيرهما أثنىٰ عليه عدد من أهل العلم كالحافظ بن حجر في أنباء الغمر، والحافظ السخاوي في الضوء اللامع وغيرهما، وآثر العزلة =

محمد بن حزم في بعض رسائله[1] ما لفظه[2]: قال الحافظ أبو محمد بن حزم: «إنّ الزّيادة بقوله: «كلّها هالكة إلاَّ فرقة». موضوعة، وإنما الحديث المعروف: «إنها تفتــرق إلى نيِّفٍ وسبعــين فرقــة»[3] لازيــادة على

= في آخر حياته لمحنٍ أصابته من متعصبي الزيـدية الذين آذوه وأخذوا يوشون به إلى الحكام، فانقطع للعبادة والتصنيف، حتى أدركته الوفاة، سنة ٨٤٠هـ.

(١) بحثت في كتب الإمـام بن الوزيـر المطبوعـة ولم أعثر علىٰ مـا ساقه المصنـف هنا كاملاً، وإنمـا الذي وجدته هو مـا ذكره في كتابه العـواصم والقواصم في الذبِّ عن سُنة أبي القاسم ٣/ ١٧٢، قال: «...... وعن ابن حزمٍ أنَّ هذه الزِّيادة موضوعة، ذكر ذلك صاحبُ «البدر المنير».

وقال فـي المجلد الأول ص١٨٦: «...... وعن ابن حـزم: أنها مـوضوعـة، غير موقوفة ولا مرفـوعة......». وبحثت في بعض كتب ابن حزم ولم أهتدِ لهذا النص الطويل الـذي أورده المصنف، وإن كان لابن حزم كـلاماً على حـديث الافتراق في بعض مصنفاتـه، لكن لا يبلغ ما ساقه المصنف هنـا. وعلى كل من وقف على هذا النص فليتحفنا به وله الشكر سلفاً

(٢) في ب: «في بعض رسـالاته عن أبـي محمد بن حـزم - يرحمــه الله تعــالى - مـا لفـظه».

(٣) أقول الحـديث الوارد في الافتـراق، كما جـاء في الروايـات الصحيحة، وورد بلفظ: «.... وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً». واللفظ الآخر: «..... وإنّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعينَ فرقة.....».

ولم أقف على هذا اللفظ: «.... إلى نيِّفٍ وسبعين فرقة». الذي نقله ابن الوزير، عن ابن حزم، كما قال المصنف، ولم يـرد في طُرق الحديث بهذا اللفظ؟ سوىٰ أنَّ الحافظ عُبيد الله ابن بطّة العكبري، رواه مُعلَّقـاً، وموقوفاً علىٰ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بلفظ: «تفتـرق هذه الأمة علىٰ نيِّفٍ وسبعين فرقة، شرُّهـا فرقة تنتحل حبنـا وتخالف أمـرنا». وذلك في كتـابه القيِّم: الشـرحُ والإبانـة على أصول السنـة والديانة ص١٦٩، وربما أن ابن حزم وقف على رواية لم نقف عليها، والله أعلم. =

هذا[1] في نقل الثقات.

ومن زاد على نقل الثقات في الحديث المشهور، كان عند المحدّثين مُعَلاًّ ما زاده[2] غير صحيح، وإنْ كان الرَّاوي ثقة.

غير أنَّ مخالفة الثقات فيما شاركوه في حديثه، يقوي الظن على أنَّه وهِمَ فيما زاده، أوْ أدرج في الحديث كلام بعض الرُّواه وَحسِبَه من كلام رسول الله، ﷺ، فيُعِلُّون الحديثَ بهذا وإنْ لم يكن مقدوحاً فيه[3].

= ومعنى قوله: «نيِّف»، النيِّف: الزيادة، قال ابن منظور في اللسان: «.... ومنه يقال: عشرون ونيِّف، لأنه زائد على العقد، الأزهري ومن ناف يقالُ: هذه مائة ونيِّف، بتشديد الياء، أي: زيادة، وهي كلام العرب، وعوامُّ الناس يخفِّفُون فيقولون: ونيْف، وهو لحن عند الفُصحاء، قال أبو العباس: الذي حصَّلناه منْ أقاويْلِ حُذَّاق البصريين والكوفيين أنَّ النيِّفَ من واحدة إلى ثلاث» ٩/ ٣٤٢.

(١) في ب: «هذي».

(٢) في ب: «ما رواه».

(٣) زيادةُ الثقات من الفنون المهمّة في علم مصطلح الحديث، وقد طرقها علماء الحديث ونقاده، وحرَّروا الأقوال فيها، والثقات جمع ثقة، والثقة هو الرَّاوي العدل الضابط، وإذا تفرَّد الراوي الثقة بزيادة في الحديث عن بقيّةِ الرُّواة في السَّند أو المتن عن شيخ لهم، فهذه تسمّى زيادة الثقة. ولقد اختلف أهل الشأن في حكم زيادة الثقة، هل هي مقبولة أم لا؟ فقال قوم: تقبل مطلقاً من غير تفصيل، وهو قول أكثر الفقهاء. وقد قال الحافظ في النزهة: «ولا يتأتّى ذلك على طريق المحدِّثينَ الذين يشترطونَ في الصحيح أنْ لا يكونَ شاذًّا، ثمَّ يُفسِّرُونَ الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثقُ منه....». اهـ. ص٩٦.

وقال آخرون: تردُّ مُطلقاً، وهم أكثر المحدثين، حكى ذلك الخطيب. وفصَّلَ آخرون فقالوا: «إن اتَّحد مجلس السماع لم تُقبل، وإنْ تعدَّد قُبِلتْ. ومنهم من =

= قال: تقبل الزيادةُ إذا كانت من غير الرَّاوي، بخلاف ما إذا نشِط فرواها تارةً وأسقطها أخرىٰ!. ومنهم من قال: إنْ كانت مخالفةً في الحكم لما رواه الباقون لم تُقبل، وإلاَّ قبلت! كما لو تفرَّد بالحديث كلِّه، فإنه يُقْبل تفرُّده به إذا كان ثقةً ضابطاً أو حافظاً، وقد حكىٰ الخطيبُ على ذلك الإجماع»، (اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ص ٥٨). قال الحافظ في النزهة: «والمنقول عن أئمة الحديث المتقدمين ـ كعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعليٍّ بن المديني، والبخاري، وأبي زُرعة، وأبي حاتم، والنسائي، والدَّارقطني وغيرهم ـ اعتبارُ الترجيح فيما يتعلَّقُ بالزيادةِ وغيرها، ولا يُعرفُ عن أحدٍ منهم إطلاق قبولِ الزِّيادة». ثم قال: «وأعجبُ من ذلك إطلاقُ كثير من الشافعية القولَ بقَبُولِ زيادة الثقة، مع أن نصَّ الشافعي يدلُّ على غير ذلك، فإنَّه قال في أثناء كلامه على ما يُعْتبرُ بـهِ حالُ الراوي في الضَّبْط ما نصُّه: «ويكونُ إذا أَشْرَكَ أحداً منَ الحُفَّاظِ لم يُخالفُه، فإنْ خالفَه فوُجِدَ حديثُه أنقص كان في ذلك دليلٌ على صِحَّةِ مَخْرجِ حديثه، ومتى خالفَ ما وصَفتُ أضرَّ ذلك بحديثِهِ»، انتهى كلامُه، ومقتضاهُ أنَّهُ إذا خالفَ فوُجد حديثُه أزْيدَ أضرَّ ذلك بحديثه، فدلَّ على أنَّ زيادة العدْلِ عنْدَه لا يلزَمُ قبولُها مطلقاً، وإنما تقبلُ منَ الحافظ، فإنَّهُ اعتبرَ أنْ يكونَ حديثُ هذا المخالفِ انْقصَ منْ حديث منْ خالفَه منَ الحُفَّاظ، وجعلَ نُقصانَ هذا الرَّاوي من الحديث دليلاً على صحتِه، لأنَّهُ يدلُّ على تحرِّيه، وجعلَ ما عدا ذلك مُضِرّاً بحديثه، فدَخلت فيه الزِّيادةُ، فلو كانت عنده مقبولةً مطلقاً لم تكُن مُضرَّةً بحديثِ صاحبها. والله أعلم». اهـ ٩٦، ٩٧.

أقول: قول الترمذي، وظاهر كلام الإمام أحمد كما ذكر الحافظ ابن رجب في شرح علل الترمذي: إن الزياة تقبل إذا كانت من حافظ يُعتمد على حفظه، ولكن ينبغي أن يُنظر إلى القرائن التي تحيط بالزيادة كثقة الحافظ من ضعفه، وينظر إلى المخالفة أو الموافقة، والكثرة أو القلة، وكذلك الحكم في الرفع والوقف، وفي الوصل والإرسال، فيحكم للأرجح، والله ـ تعالى ـ أعلم، ومن أراد التوسع والزيادة فعليه بالكتاب الحافل بالفوائد والدُّرر، شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي، ـــ وأيضاً ـ كتاب الإمام الصنعاني توضيح الأفكار، وكتب المصطلح، خصوصاً النكت على كتاب ابن الصّلاح لابن حجر. والنزهة.

على أنَّ أصل الحديث الّذي حَكمُوا بصحَّته ليس ممّا اتفقُوا علىٰ صحّته، وقد تجنّبه البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه» انتهىٰ كلامه[1].

---

(١) الذين طعنوا في حديث الافتراق، أو لفظة: «كلها في النَّار إلاَّ واحدة» ليس معهم حجة لرد الحديث إلاّ قولهم:
إنّ الحديث أو أصله لم يرد في أيٍّ من الصحيحين!؟ فيُوهِّنُون الحديث بهذا! وهذا قول ساقط متهافت، لأنه لو سُلِّم بهذا القول، لرددنا غالب أحاديث النبي، ﷺ، الواردة في الكتب الأخرى، وهذا جهلٌ وظلم! فهل يقول قائل إنني لا أقبل الحديث إلاَّ إذا كان في الصحيحين، أو أحدهما، أوْ على شرطهما، وما سوى ذلك أرده!
أقول: هذا إما جهل، أو تعصّب وتشدد وتقليد، أو هوى! نعم نحن نقول إنَّ مراتب الصحيح هي: ما اتفقا عليه، وهو أعلاها، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ماانفرد به مسلم، ثم ما كان علىٰ شرطهما ولم يخرجاه، ثم ما كان على شرط البخاري، ثم ما كان على شرط مسلم، ثم ما صح عند غيرهما من الأئمة. أما أنَّ الصحيح لا يوجد إلا عند البخاري أو مسلم، فهذا قولٌ باطل لا يقبل!؟ والذي يَرُدُّ هذا القول الشيخان ـ يرحمهما الله تعالىٰ ـ قال ابن عدي في مقدمة الكامل ٢١٠: سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «ما أدخلتُ في كتاب الجامع إلاَّ ما صحَّ، وتركتُ من الصِّحاح لحال الطول». وهذا مسلم يقول: «ليس كلُّ شيءٍ عندي صحيحٌ وضعتُه ها هنا، إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه». صحيح مسلم في كتاب الصلاة ١/ ٣٠٤ أي: ما وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه، وقد كان البخاري يصحح أحاديث ليست في كتابه، في السنن وغيرها، ومن هذا ما كان يذكره الترمذي وغيره عنه.
وقد جاء من بعدهما أئمة وحفاظ أخرجوا أحاديث على شرطهما أو أحدهما، كالحاكم في المستدرك، والضياء المقدسي في المختارة وغيرهما.
إذن نقول بعد ذلك لمن ردَّ هذا الحديث وغيره، هل إذا لم يورد البخاري ومسلم =

هذا ما سنحَ للفقير محمد بن إسماعيل الأمير، ـ عفا الله عنه ـ في توجيه الحديث، بعد أن سألني عنه بعض الإخوان العلماء، فإن وافقَ فَمِنْ فضل منْ أَلْهمَ إليه، وإلاّ فمن قصور من حرّره في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٣هـ.

❑ ❑ ❑

= هذا الحديث في صحيحيهما، يعتبر مقدوحاً فيه؟ لأنني أتعجبُ من صنيع بعضهم من كتاب هذا العصر! فبعد أن احتج بأن هذا الحديث ليس في الصحيحين أو أحدهما، قال: «وما يقال من أنهما لم يستوعبا الصحيح، ولكنهما حرصا ألاّ يدعا باباً مهماً من أبواب العلم إلاّ ورويا فيه شيئاً ولو حديثاً واحداً».

وهذا قولٌ متناقض، كيف يسلم بالأمر، ثمَّ يخالفه، إذن لا فائدة من هذا التسليم المزعوم! ثم إنَّ هذه القاعدة التي يتكىء عليها من قوله «ولكنهما حرصاً ألاّ يدعا باباً . . . .» لا يسلم بها مطلقاً، وهي قاعدة ليست بدقيقة ثمَّ من قال بهذه القاعدة من أهل التحقيق!؟ فمهما حاولَ منْ حَاولَ من أجل ردِّ هذا الحديث، فإنه سيجد نفسه عاجزاً، وذلك لأن الحديث ثابت بل وعدّه الكتاني متواتراً كما في نظم المتناثر. وقد صححه أئمة حفاظ ونقادٌ، من أهل الرُّسوخ في علم الحديث وعلله.

ثم إنَّ اللفظة التي اعترض عليها ابن الوزير وابن حزم ومن قلَّدَهما! ثابتة وفق موازين البحث العلمي، والنقد الحديثي ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فليس التهويل والتشويش هو الذي يطعن في الروايات وابن الوزير نفسه في الروض الباسم أورد الحديث ذاكراً بعض طرقه، ومنها حديث معاوية، الذي فيه هذه الزيادة مصححاً له! فهذا تناقض منه؟ أما كلام ابن حزم فيتهاوىٰ أمام تصحيح أئمة الحديث ونقاده لهذه الزيادة، فقد صحح الحديث الوارد بهذه الزيادة، أئمة منهم الحافظ العراقي، وكذلك الحاكم والذهبي، وشيخ الإسلام، وابن حجر ـ يرحمهم الله ـ، وهم أئمةٌ أعلام في علم الجرح والتعديل والنقد الحديثي، وقد عقد العلامة المقبلي فصلاً نقد فيه كلام ابن الوزير، وهو ردٌّ على غيره ـ أيضاً ـ، وهو كلام نفيس لولا طوله لأوردته، فليرجع إليه من أراد المزيد في كتاب العلم الشامخ.

في نسخة (ب): «هذا ما سنح للنظر القاصر، والبصر الكليل الفاتر، فإن وافق فمن فضل الله وله الحمد، وإنْ ثَمَّ قصور قائله ـ عفا الله عنه ـ حرّر في يوم السبت السادس عشر من صفر ١١٥٠ هـ.

بقلم الفقير إلى الله ـ تعالى ـ: علي أحمد إسماعيل،

غفر الله له ولوالديه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم».

وجد في نهاية المخطوطة «ب» ما نصّه:

(بعناية القاضي العلاّمة: صفي الدِّين أحمد بن محمد الخطيب، عافاه الله تعالى، وغفر له آمين يا رب العالمين، نهاية شهر صفر سنة ١١٥٠هـ).

انتهيت من مراجعتها والتعليق عليها ـ ولله الحمد والمنة ـ يوم الثلاثاء ١٠/٦/١٤١٤هـ، مع اعتذاري لإطالتي في حاشية الرسالة، فما أردت إلاَّ الفائدة للجميع، والله الهادي والمعين.

وكتبه:

أبو أكثم سعد بن عبدالله السعدان.

❑ ❑ ❑

فهـــرس المراجـــع

الهمـــــزة

أمالي المحاملي	للمحاملي	دار ابن القيم
إعلام الموقعين	لا بن القيم	دار الجيل
إتمام المنة والنعمة بذم اختلاف الأمة	لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	دار البراء
اقتضاء الصراط المستقيم	تحقيق العقل	العبيكان
أعلام السنة المنشورة	للحكمي	مكتبة السوادي
أحوال الرجال	للجوزجاني	الرسالة
أخلاق العلماء .	للآجري	المكتب الإسلامي
اعتقادات فرق المسلمين المشركين	للرازي	دار الكتاب العربي
الأعلام	للزركلي	دار العلم للملايين
الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان	لابن بلبان	الرسالة
الآداب	للبيهقي	المكتبة الثقافية
الأموال	لابن زنجويه	مركز الملك فيصل
الإبانة	لابن بطة	تحقيق رضابن نعسان معطي

الاغتباط بمن رمي بالاختلاط	ابن سبط العجمي	دار الحديث
الاعتصام	للشاطبي	دار ابن عثمان
الإيمان	لابن منده	الرسالة
الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة	لعمر الأشقر	دار النفائس
الافتراق	ناصر العقل	دار المسلم
الأربعون حديثًا	للآجري	المكت الإسلامي
أبجد العلوم	للقنوجي	دار الكتب العلمية
الإحكام في أصول الأحكام.	لابن حزم	ط. مكتبة عاطف
أخبار أصبهان	لأبي نعيم	دار الكتب العلمية

البـــــاء

بذل الماعون	لابن حجر	دار العاصمة
بحر الدم	لابن عبدالهادي	دار الراية
البحر الزخار	للبزار	مكتبة العلوم والحكم
الباعث على إنكار البدع والحوادث	أبو شامة	دار الراية
البدر الطالع	للشوكاني	مكتبة ابن تيمية
البرهان في معرفة عقائد الأديان	للسكسي	مكتبة المنار
البدع والنهي عنها	لابن وضَّاح	دار الرائد العربي
البداية والنهاية	لابن كثير	المعارف

التـــــاء

تحفةالأحوذي	للمباركفوري	دار الكتب العلمية
التذكرة	للقرطبي	الريان
تهذيب الكمال	للمزي	الرسالة
تهذيب التهذيب	لابن حجر	دار الفكر
تقريب التهذيب	لابن حجر	دار الرشيد
تفسير الكشاف	للرازي	دار الكتاب العربي
تبيين كذب المفتي فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري	لابن عساكر	دار الفكر
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	لابن سعدي	
تفسير النسائي		دار الرشد
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين	للإسفراييني	عالم الكتب
تفسير القرطبي		الشعب
تدريب الراوي	للسيوطي	دار التراث
تاريخ بغداد	للخطيب	دار الكتاب العربي
التنكيل	للمعلمي	المكتب الإسلامي
تلبيس إبليس	لابن الجوزي	دار الكتب العلمية
تذكرة الحفاظ	للذهبي	دار الكتب العلمية
تاريخ الإسلام	للذهبي	دار الرسالة
تاريخ داريّا	للخولاني	دار الفكر

التوحيد	لابن منده	تحقيق علي فقيهي
التدليس في الحديث	للدميني	
التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية	للرشيد	دار الرشيد
تغليق التعليق	لابن حجر	المكتب الإسلامي

الجيـــــم

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	للخطيب	الرسالة
جزء الألف دينار	القطيعي	النفائس
جامع الأصول	لابن الأثير	دار الفكر
جزء فيه أحاديث نافع بن نعيم		دار الصحابة
جامع العلوم والحكم	لابن رجب	الرسالة
الجامع الصغير	للسيوطي	دار إحياء السنة

الحـــاء

حلية الأولياء	لأبي نعيم	دار الكتب العلمية
حقيقة الفرقة الناجية	سقاف الكاف	مكتبة المطيعي
الحجة بيان المحجة	قوَّام السنة	دار الراية
الحوادث والبدع	للطرطوشي	دار ابن الجوزي

الخـــاء

خصائص أهل السنة	أحمد مزيد	قرطبة
خبيئة الأكوان	للقنوجي	دار الكتب العلمية

الـــدال

الدين الخالص	للقنوجي	التراث
دلائل النبوة	للبيهقي	دار الريان
دعوة التوحيد	محمل خليل هراس	ابن تيمية
الدلائل	للبيهقي	دار الر يان

الـــذال

ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين		
المخالفة للسنن والمبتدعين	لليافعي	البخاري
ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة	للغنيمان	مكتبة لينة

الـــراء

رياض الصالحين	للنووي	الرسالة
رسائل الغرباء	للشيخ العودة	ابن الجوزي
الرسائل المستطرفة	للكتاني	
الروض الباسم	للوزير	دار المعرفة

الـــــــزاي

الزهد	لهناد بن السري	دار الخلفاء
الزهد	لوكيع	مكتبة الدار
الزهد الكبير	للبيهقي	م. الكتب الثقافية

الســـين

سنن أبي داود		دار الحديث
سنن النسائي		دار البشائر
سنن الترمذي		المكتبة الإسلامية
سنن ابن ماجه		إحياء التراث العربي
سنن الدارمي		دار الكتاب العربي
سير أعلام النبلاء	للذهبي	الرسالة
السنن الكبرى	للبيهقي	دار الفكر
السنة	للمروزي	المكتبة الثقافية
السلسة الصحيحية	للألباني	المعارف
السلسلة الضعيفة	للألباني	المعارف

الشيـــن

شرح السنة	للبغوي	المكتب الإسلامي
شرح أصول الاعتقاد	اللالكائي	طيبة

شعب الإيمان	للبيهقي	الكتب العلمية
شرح النونية	لابن عيسى	المكتب الإسلامي
شرح النونية	لابن سعدي	ابن الجوزي
شرح علل الترمذي	لابن رجب	المنار
شرح صحيح مسلم	للنووي	مكتبة الرياض
شرح السنة	للبربهاري	دار ابن القيم
شرف أصحاب الحديث	للخطيب	دار إحياء السنة
شرح الطحاوية	لابن أبي العز	الرسالة
شرح الواسطية	للفوزان ،	المعارف
الشريعة	للآجّري	أنصار السنة
الشفاعة	للوادعي	دار الأرقم

الصـــاد

صحيح البخاري		دار ابن كثير
صحيح مسلم		المكتبة الإسلامية
صفوة المفاهيم	علي الهزاع	المنار
صريح السنة	لابن جرير	دار الخلفاء
الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشـروع والتفُّرق المذموم	للقرضاوي	دار الـصحوة
الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم . .	العدوي	دار الهجرة

الضـــــاد

الضعفاء الكبير	للعقيلي	دار الكتب

الطـــاء

طريق الهجرتين	لابن القيم	دار ابن القيم

العيـــن

العزلة	للخطابي	ابن كثير
العواصم والقواصم	ابن الوزير	الرسالة
علل الترمذي الكبير	أبو طالب القاضي	مكتبة الأقصى الأردن
علوم الحديث	لابن الصلاح	دار الفكر
العقود الياقوتية	لابن بدران	مكتبة السدّاوي
العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة	لمحمد جميل زينو	المطبعة الأهلية
العلل المتناهية	لابن الجوزي	الكتب العلمية
العلم الشامخ	للمقبلي	دار الحديث

الفـــاء

الفوائد	للرازي	دار الرشد
الفوائد	لابن القيم	دار البيان
الفتن	لنعيم بن حماد	التوحيد القاهرة
فتح المغيث	للسخاوي	
فتح الوهاب	للغماري	عالم الكتب
فتاوى شيخ الإسلام		عالم الكتب
فتح الباري	لابن حجر	السلفية
فيض القدير	للمناوي	دار إحياء السنة

فهارس المعجم الكبير	عدنان عرعرو	الراية
فتيا وجوابها	للعطار الهمداني	العاصمة
الفتح السماوي	للمناوي	العاصمة
الفرق بين الفرق	للبغدادي	المعرفة

القـــاف

قرة عيون الموحدين	عبدالرحمن بن حسن	ابن الجوزي
قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر	القنوجي	تحقيق القريوتي

الكـــاف

كتاب السنة	لابن أبي عاصم	المكتب الإسلامي
كنزل العمال	للمتقي	الرسالة
كشف الخفاء	للعجلوني	الرسالة
الكامل في الضعفاء	لابن عدي	دار الفكر
كشف اللثام	للجديعي	
كشف الغمة ببيان خصائص رسول الأمة ﷺ والأمة	لأبي الحسن المصري	مكتبة ابن تيمية
كشف الظنون	حاجّي خليفة	دار الفكر

الـــــلام

لسان الميزان	لابن حجر	دار صادر
لوامع الأنوار البهية	للسفاريني	الخافقين

الميـــم

مدارج السالكين	لابن القيم	دار الكتاب العربي
موضح أوهام الجمع والتفريق	الخطيب البغدادي	دار الباز
مجموع فتاوى	ابن باز	ط . الفرزدق
مسند الإمام أحمد		المكتب الإسلامي
مسند أبي يعلى الموصلي		دار القبلة
مسند عمر بن عبدالعزيز		دار ابن كثير
مسند الطيالسي		المكتبة الإسلامية
معجم ابن الأعرابي		الكوثر
مصنف عبدالرزاق		المكتب الإسلامي
مصنف ابن أبي شيبة		المكتبة الثقافية
مجمع الزوائد	الهيثمي	الكتب العلمية
معجم الشيوخ	للصيداوي	الرسالة
مسند الشهاب	للقضاعي	الرسالة
مسند الشاميين	للطبراني	الرسالة
المعتزلة وأصولهم الخمسة	للمعتق	دار العاصمة
مصابيح السنة	للبغوي	دار المعرفة
مختصر زوائد مسند البزار	لابن حجر	الكتب الثقافية

مصباح الزجاجة	للبوصيري	الكتب الثقافية
مفردات ألفاظ القرآن	الراغب	دار القلم
منهاج السنة	ابن تيمية	ط . جامعة الإمام
معالم الانطلاقة الكبرى	المصري	دار طيبة
معارج القبول	الحكمي	دار ابن القيم
مجموعة الرسائل والمسائل النجدية		دار العاصمة
مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرُّقهم	محمد العبدة وطارق عبدالحليم	دار الأرقم
مجمع الأمثال	للميداني	السنة المحمدية
مصلح اليمن : محمد بن إسماعيل الصنعاني	لعبدالرحمن بعكر	مكتبة أسامة
مفهوم أهل السنة والجماعة	ناصر العقل	دار الوطن
موارد الظمآن	للهيثمي	الكتب العلمية
مفتاح الجنة	المعصومي	المكتبة الإسلامية
المنتخب من مسند عبد بن حميد		عالم الكتب
المعجم الكبير	للطبراني	ط . ابن تيمية
المعجم الأوسط	الطبراني	المعارف
المعجم الصغير	الطبراني	المكتب الإسلامي
المطالب العالية	لابن حجر	مخطوط
المستدرك	الحاكم	دار الكتب العلمية
المقاصد الحسنة	السخاوي	دار الكتب العلمية
المعرفة والتأريخ	الفسوي	مكتبة الدار

المنتقى من منهاج السنة النبوية	للذهبي	ابن تيمية أكاديمي
المذكر والتذكير والذكر	لابن أبي عاصم	دار الصحابة
المدخل	للبيهقي	دار الخلفاء
مرشد المحتار	لحمدي السلفي	عالم الكتب
معرفة علوم الحديث	للحاكم	دار الكتب العلمية

النـــــون

نزهة النظر	لابن حجر	ابن الجوزي
نهاية البداية	لابن كثير	مكتبة النصر
النكت على ابن الصلاح	لابن حجر	دار الراية
نظم المتناثر	الكتاني	دار الكتب السلفية
نبوءات الرسول	محمد ولي الله الندوي	دار السلام
نصب الراية	للزيلعي	دار الحديث
النهاية في غريب الحديث	لابن الأثير	أنصار السنة المحمدية

الهـــاء

الهوى وأثره في الخلاف	الغنيمان	دار الوطن

الـــــواو

الولاء والبراء	القحطاني	طيبة
الوسيط في علوم ومصطلح الحديث	محمد أبو شهبة	عالم المعرفة
وجوب لزوم الجماعة	جمال بادي	دار الوطن

فهـــرس الآيـــات

﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً . . ﴾	الأنعام	١٥٩	١٨، ٢٢
﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . . ﴾	الأنفال	٤٦	١٦
﴿وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله . . . ﴾	الأنفال	٤٨	١٨
﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . . ﴾	هود	١١٨ـ١١٩	٦
﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه . . . ﴾	الإسراء	١٥	٩
﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾	الإسراء	١٥	٩
﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾	الكهف	٤٩	٩
﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً . . . ﴾	المؤمنون	٥٣	١٨
﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾	المؤمنون	٥٣	١٩
﴿ولا تكونوا من المشركين . . . ﴾	الروم	٣١ـ٣٢	٢٢
﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾	الأحزاب	٧٢	١٥
﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك . . . . ﴾	الشورى	١٣	١٨
﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة . . . ﴾	الزخرف	٢٣	١٣
﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين . . . ﴾	الحشر	١٠	٢٣
﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها . . ﴾	الملك	٨ـ٩	١٠
﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾	الغاشية	١	٤٠
﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب . . . ﴾	البيِّنة	٤	٦٤

☐ ☐ ☐

فهــرس الأحاديث

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات(*)

الموضوع	الصفحة

(*) هذا الفهرس يحتوي لمجمل الموضوعات التي وردت في المقدمة، والمتن، والحاشية.